بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
كلية اللغات قسم اللغة العربية

بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي

Some Human Values in Pre-Islamic Poetry

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

اعداد الطالب:
معاوية مختار محمد أبشر

إشراف:
الدكتورة/ نعمة الطيب أحمد عباس

1443هـ – 2021م

الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿8﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿9﴾

صدق الله العظيم

سورة الإنسان الآيات8-9

إهداء

الحمد لله حمداً يليق بجلاله والشكر له أجزله أن وفقني إلى إكمال هذا البحث.

وأهدي هذا البحث إلى من قال فيهم الله سبحانه وتعالى:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)

إلى من أنارا لي الطريق والدي العزيز ووالدتي العزيزة، كما أهدي هذا العمل إلى إخواني وأخواتي، وأقاربي وكل من وقف بجانبي داعماً لي.

شكر وعرفان

لكل مبدعٍ إنجاز، لكل شكرٍ قصيدة، ولكل مقام مقال، ولكل نجاح شكر وتقدير، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) الشكر كل الشكر بشتى معانيه للأستاذة العلامة الدكتورة/ نعمة الطيب أحمد التي اشرفت على هذا البحث فكانت لي نعم الاستاذة والمرشدة وكانت الناصحة والموجهة جزاها الله عني كل خير.

كما أشكر جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا منارة العلم والمعرفة، وأخص بشكري وإمتناني كلية اللغات التى منحتني هذه الفرصة، والشكر كذلك لإدارات مكتبات جامعة أمدرمان الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية كما أشكر كل من شارك وأسهم في هذا البحث من خلال مشورة، أو إبداء رأي، أو إسداء نصيحة حتى خرج هذا البحث بهذه الصورة هذا وما التوفيق إلا من عند الله سبحانه وتعالى.

مستخلص البحث

العصر الجاهلي هو البحر الزاخر الذي ظل الشعراء والأدباء ينهلون منه، حيث إنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، فهو البحر الذي لا ينضب لأنه منبع ذلك الشعر الذي تحدث عن الحروب، والأخلاق كما تناول السادة والأشراف الحكماء الكهنة والمعتقدات والقيم، فرصد كل ذلك الشاعر في صياغة متميزة لها خصوصياتها المنفردة أو الجماعية تحت ظل الأعراف والقيم التي فرضتها القبيلة، لذلك جاء هذا البحث للوقوف على بعض هذه القيم التي سادت في المجتمع الجاهلي، فكان عنوان البحث بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي الذي ارتكز على المنهج الوصفي المعتمد على التحليل، حيث فسر للمصطلحات التي ارتكز عليها (الجاهلية والقبيلة والمجتمع والقيم) بالإشارة إلى البيئة الجاهلية بصورة عامة، التي تضمنت النواحي (السياسية، والاجتماعية، الدينية، الاقتصادية) ثم جاء الشعر الذي يمثل صور القيم في المجتمع الجاهلي التي عكسها الشاعر فكانت عنصراً فعالاً فقدمت تجارب حية لها قيمتها في إرساء وتأصيل القيم في المجتمع الجاهلي أو القبلي، التي اختلفت سلباً وايجاباً على حسب تقاليد وأعراف القبيلة، فنال بها الشاعر مكانة عالية داخل القبيلة وخارجها.

خلُص هذا البحث إلى معرفة بعض القيم الإنسانية التي أقرها الإسلام وهذه القيم الجاهلية ذات ثمار كثيرة ولكنني قطفت بعض منها (الكرم، الشجاعة والوفاء بالعهد) كما أوصى الباحث ضرورة الوقوف على التراث العربي والتعرف على الشعر الجاهلي للكشف عما يحتويه من قيم وعناصر الجمال التي ضمنت لهذا الشعر خلوده.

وكان للشاعر الجاهلي تأثير واسع في مجرى الحياة اليومية وعلاقته بمجتمعه الذي تحكمها قيم أخلاقية تسود أفراده فهو عضو القبيلة.

Abstract

The pre-Islamic era is considered one of the most fruitful periods that inspired poets and writers, as they found in it their desired inferiority. It is the inexhaustible sea because it is the source of the poetry that dealt with wars and morals, as the wise gentlemen and nobles, priests, beliefs and values. This research aimed to find out some of these values that prevailed in the pre-Islamic society. The title of the research: Some Human Values in Pre-Islamic Poetry. The study used the descriptive analytical approach. An explanation of the terms on which the pre-Islamic era, the tribe, society and values were basically analyzed, with reference to the pre-Islamic environment in general, which included the political, social, religious, and economic aspects. Poetry depicts the values in the pre-Islamic society that the poet reflected and was an effective element. It provided vivid experiences that have value in establishing and rooting values in the pre-Islamic or tribal society, which differed negatively and positively according to the traditions and customs of the tribe, thus the poet attained a high position within and outside the tribe. This research concluded to display some of the human values approved by Islam and these pre-Islamic values have many advantages, however, the researcher picked some of them (generosity, courage and fulfillment of the covenant) which kept Poetry immortal. The pre-Islamic poet had a wide influence in the course of daily life, and his relationship with his society was governed by moral values that prevailed among its members, as he was a member of the tribe.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
إهداء	ب
شكر وعرفان	ج
مستخلص البحث	د
ABSTRACT	هـ
فهرست الموضوعات	و
المقدمة	1
تمهيد	4
الفصل الأول **بعض القيم الإنسانية في العصر الجاهلى (الكرم، الشجاعة، الوفاء بالوعد)**	
المبحث الأول: الكرم	24
المبحث الثاني: الشجاعة	40
المبحث الثالث: الوفاء بالوعد	51
الفصل الثاني **دارسة تحليلة لنماذج شعرية من هذه القيم الانسانية في العصر الجاهلي**	
المبحث الأول: الكرم في الشعر الجاهلي	57
المبحث الثاني: الشجاعة في الشعر الجاهلي	61
المبحث الثالث: الوفاء بالوعد في الشعر الجاهلي	72
الخاتمة	
اولاً: النتائج:	79
ثانياً: التوصيات:	79
المصادر والمراجع	80

مقدمة

الحمد لله الملك الديّان، خالق الإنسان الذي علّمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لساناً وأحسنهم بياناً وعلى آله وصحبه السائرين على هدى القرآن أما بعد.

تحتل الحضارة العربية مكانة بين الحضارت البشرية، عظمةً وتراثاً وبعداً إنسانياً وثقافياً وإمتداداً عبر الزمان والمكان، وقد استطاعت هذه الحضارة أن ترمى أو ترسي جملة من القيم عبر تاريخها الطويل، وأن تكرس تلك القيم بنماذج ثقافية، وتراثية وابداعية، تركت أثارها العميقة في ميادين المعرفة الإنسانية، وكان الإنسان دائماً محور اهتمام تلك القيم وإليه اتجهت كل الدراسات والعبر والمواعظ والتجارب، بحيث خلقت لنا تلك الحضارة نماذج من العطاء الفكري الإنساني لا حدود لها.

إن الأدب العربي زاخر في جميع عصوره بالعديد من القضايا و الظواهر والقيم التى مازالت تحتاج إلى دراسة واستكشاف، وتناول ونقد وتفسير وتحليل.

ومن هذا المنطلق، نبعت فكرة البحث هذا، فوقع الاختيارعلى بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلى، ولا شك أن مسألة البحث في العصر الجاهلي مسألة شاقة وشائكة، ليست عن عدم وفرة المراجع بل العكس، إنما لغتساع هذا العصر وكبر مساحته وكثرة شعرائه وأشعارهم التى اتصلت بالقبيلة بصورة مباشرة تحدثت عن (نحن) الجماعية أو (أنا) الفردية التى إنحصرت داخل الجماعة أو خارجها، وسنتحدث في هذا البحث عن القيم التى أقرها الإسلام وهذه القيم نسميها بالحسنة.

ويمكن للباحث أن يقف على عند بعض القيم التى رسخت على أيدي بعض الشعراء، وذلك ليأخذ البحث طابع الحصر، نسبة لتشعب جوانب الموضوع وضخامته سيتم تناول هذا البحث بدراسة وصفية تحليلية، حيث ياتي هذا البحث ليكشف مدى أهمية التعرف على بيئة العرب الجاهلية، وشعرهم وأشعارهم التى كان لها دور كبير في إحياء الموروث الثقافي إذ أنها

تمثل الرسالة الإعلامية التى عكست النواحي الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والدينية والتى حمل لواءها الشاعر الذي كان له دور مهم في ذلك الإعلام البارز وإرساء القيم الإجتماعية.

1- الموضوع: بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي.

2 مشكلة الدراسة:-

تتمثل في كونها تُجيب عن السؤال المركب التالي: ماهى أبرز القيم الإنسانية العربية التى تغنى بها الجاهلي يومذاك، وهل البيئة الصحراوية شكلت محيطاً أساسياً كوّن تلك الشخصية التى ألفت القيم وتدثرت بثوب الذي زين تلك القيم ؟

3- أهمية الدارسة:-

أ- دراسة بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي التى ضمنت إستمرار الشعر الجاهلي.

ب- تكمن أهمية الدراسة في أنها تحاول الكشف عن بعض القيم التى تغنى بها الشاعر الجاهلي ووضعها بين يدي القارئ بصورة ميسورة وسهلة التلقي.

4- أسئلة الدارسة:-

ا. ماهى القيمة الإنسانية في الشعر الجاهلي.

ب. وهل العصر الجاهلى مليئ بالقيم الإنسانية التى أقراها الإسلام.

5- **أهم الأهداف:-**

أ- التعرف على البيئة الجاهلية التى عاشها العرب في الجزيرة العربية.

ب- معرفة أهمية الشعر في تصوير القيم في المجتمع الجاهلي.

ج- توضيح أهم القيم الإنسانية التى سادت عند العرب.

6- حدود الدراسة:- العصر الجاهلي (150 عام قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم).

7- منهج الدارسة:-

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال عرض النماذج الشعرية وإظهار وإبداء ما بها من قيم.

8- الدراسات السابقة:-

أ/ صور المجتمع الجاهلي من المعلقات السبعة، رسالة ماجستير تقديم الطالب الحسن فضل علي اشراف الدكتور عبد المجيد 1994م (جامعة النيلين).

ب/ مكان الشاعر في المجتمع الجاهلي، رسالة دكتوراه تقديم الطالب فتحي ابراهيم احمد، إشراف الدكتور عبد النبي محمد 2001، (جامعة النيلين).

تلتقي هذه الدراسات مع بحثي في أن الشاعر له أثر كبير في تقرير نمط العلاقات الإنسانية التي تبوأها الشاعر الجاهلي. أضافت هذه الدراسة في أنها تابعت تقاليد وأعراف وقيم أثرت على الشعر الجاهلي من خلال تأثره بالمجتمع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، مما انعكس ذلك على شعره ونتاجه.

9- أهم النتائج:-

كان للشاعرالجاهلي تأثيراً واسعاً في مجرى الحياة اليومية وعلاقته بمجتمعه تحكمها قيم أخلاقية فهو عضو القبيلة.

10- هيكل الدارسة:-

سارت هذه الدراسة وفق خطة علمية انتظمت في تمهيد وفصلين بهما عدد من المباحث.

أما التمهيد: فقد جاء معرفاً للعصر الجاهلي، ودلالة مصطلح الجاهلية، والجاهلية الأولى والثانية، كما تحدث عن الحياة السياسية والدينية والإجتماعية و الاقتصادية.

الفصل الأول: بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي (الكرم، الشجاعة، الوفاء بالوعد)

المبحث الأول: الكرم

المبحث الثاني: الشجاعة

المبحث الثالث: الوفاء بالوعد

الفصل الثاني: دراسة تحليلية لنماذج من هذه القيم الإنسانية في العصر الجاهلي.

المبحث الأول: قيمة الكرم.

المبحث الثاني: قيمة الشجاعة

المبحث الثالث: قيمة الوفاء بالوعد.

تمهيد

قد يتبادر للأذهان، أنّ العصرالجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يُدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية، في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده.

ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الإتساع، اذ لا يتغلغلون به الى ماوراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التى تكاملت للغة العربية منذ أوائلها وخصائصها التى جاءنا عنها الشعر الجاهلي[1].

و لاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله ويسر الطريق اليه امرؤ القيس بن حِجر ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له، إلى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذ استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام" [2].

(وهذه ملاحظة دقيقه لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول، ونفس تاريخ العرب ليس يشبوه الغموض منذ قضى الرومان على دولتهم في بطرا وتدمر، إلا بعض أخبار فارسية وبيزنطية قليلة وبعض نقوش عثر عليها علماء الساميات وتشير تلك النقوش والأخبار الى إمارات الغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة وممكلة كندة في شمال نجد)[3].

وجاء في تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام أن مصطلح (الجاهلية) يلقي بعضاً من ظلاله المعتمة على فهم واقع الامة يومئذ بما لا يوافق حقيقة واقعها الثقافي والحضاري. سواء كان ذلك من الداخل أم مع العالم الخارجي[4].

([1]) ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د، ت)، ص38.

([2]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب، بيروت، ط1، 1424هـ، ص25.

([3]) مرجع سابق، ص39.

([4]) القيسي، نوري حمودي، تاريخ الادب العربي قبل الإسلام، بغداد، جامعة بغداد، مطبعة التعليم العالي، 1989م، ص4.

وإذا كان هنالك من يظن بأن هذا التراث هو حصاد بيئة صحراوية بدوية جافة، فهو تصوير قاصر فقد كانت التخوم العربية من أقاصي اليمن وحضرموت مروراً بنجد والحجاز، إلى أعماق السواد والحيرة والفرات حتى أعالي الشام والأردن ولبنان ومصر وشمال افريقيا تزخر بالأدباء ومعارفهم الإنسانية[1].

وإذا كنا في أغلب الأحيان، نستخدم مصطلح (الجاهلية) فذلك بواقع من تمييزنا له عن الجاهلية التى تعني الأمية الحضارية والأُمية الكتابية بعد أن ظهر للبحث والتحقيق أن مصطلح الجاهلية يعني الأمية الدينية فحسب، أو الوثنية الجاهلة لأمور العبادة والتوحيد[2].

ومن هذا نفهم أن مصطلح (الجاهلية) أطلقه الخالق عز وجل على وثني العرب في تنزيله العزيز فاذا كان هذا المصطلح يرد في الثنايا فمن قبيل تحديده للفترة الأدبية بإعتباره صار علماً تعرف به، كما عرفت الفترة التى عاصرت الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده بالفتره الإسلامية[3].

مدلول مصطلح الجاهلية

جاء في كتاب العصر الجاهلي لشوقي ضيف (إن تعريف كلمة الجاهلية ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهى تقابل كلمة الإسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل وما يطوي فيها من سلوك خلقي كريم)[4].

ودارت الكلمه في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب.

([1]) القيسي نوري، تاريخ الادب العربي، ص 6.

([2]) نفسه ص5

([3]) نفسه ص7.

([4]) مرجع سابق، ص39.

قال الله تعالى: (قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ67) [1].

قال الله تعالى:(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ199) [2]

قال الله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا 63) [3]

وفي الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لإبي ذر وقد عيَّر رجلاً بأمه (إنك امرؤ فيك جاهلية) [4]

ويطلق الجهل أيضاً على عدم العلم ومنها عدم العمل بالعلم لذلك يقال أن كل من عصى الله أو أساء الخلق وجاء في مكتبة العصر الجاهلي وأدبه أن لفظ الجاهلية استخدم من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق.

قال عمرو بن كلثوم في معلقته

ألا لا يَجْهَلنَ أحدٌ عَلينَا فَنْجَهلُ فُوقَ جَهلِ الجَّاهِلِينَا[5]

وفسروا المعنى هنا بالسفه أي لايسفهن أحد علينا فنعاقبه بما هو من سفهه.

وقد امتد هذا المعنى حتى الإسلام والى عصر الفرزدق فقال

أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الجِّبَالَ رزانة وتَخَالنُا جنّا إذا ما نَجْهَلٌ[6]

ووردت أيضا بمعنى الجهل الذي هو ضد العلم أو المعرفة بالشئ، كقول سويد بن أبي كاهل اليشكري في صفة صحراء لا يعرف مسالكها وإغلالها قال

([1]) سورة البقر، الاية، 67.

([2]) سورة الأعراف، الاية 199.

([3]) سورة الفرقان، الاية 63.

([4]) العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379، ط1، ص673.

([5]) حرب، طلال، ديوان عمرو بن كلثوم، دار لبنان، بيروت، 1993م، ط1، ص61.

([6]) الفرزدق، همام بن صعصعة، ديوان الفرزدق، دار لبنان، بيروت، 1987م، ط1، ص95.

فركبناها على مجهولها بصلاب الأرض فيهن شجع[1]

وأما من ناحية أخرى، فقد قسم مؤرخو الأدب الفترة التى عاشها العرب في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام الى فترتين كما قسمها عبد العزيز نبوي هما [2].

الجاهلية الاولى:-

وهى الفترة التى تمتد الى الوراء حقباً وأزماناً لا نعلم من أمر الأدب فيها شيئاً.

الجاهلية الثانية:-

وهى التى تلي زمنياً الجاهلية الأولى وتشغل نحو مئتي سنه قبل ظهورالإسلام وهى الفترة التى وصل الينا منها شعر بعض شعرائها وتبدأ بزمن نشوب حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب حيث أقدم الأشعار التى يجب علينا أن نرجح صحتها. [3]

ويمكن تسمية ما وراء هذه الفترة بالجاهلية، الأولى وهى العصور الغابرة التى أخذ الشعر يندرج فيها، ذلك أن الجاحظ حدد أولية القصيدة العربية دون أن يحدد أولية االشعر.

الحياة السياسية

كان للحياة السياسية في شبه جزيرة العرب، قبل الإسلام مظهران: مظهر سياسي، ومظهر قبلي.

أولاً: المظهر السياسي:-

ويتمثل في الإمارات العربية الشمالية (المناذرة والغساسنة وكندة) وحواضر الحجاز (مكة والطائف ويثرب).

([1]) الضبي، محمد بن يعلي بن سالم، المفضليات، دار المعارف، القاهرة، ط6، ص182.

([2]) ابن الكيت، ابيات اصلاح المنطق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص220.

([3]) نبوي، عبد العزيز، دراسات في الأدب الجاهلي، المختار، 1988م، ط3، ص17.

أما المناذرة فقد أنشأها الفرس في العراق وأتخذت مدنية الحيرة مركزاً لها ومن أشهر امراء المنازرة المنذربن ماء السماء وعمرو بن المنذر أبو عمرو بن هند والنعمان بن المنذر وقد استمرت دولة المناذرة حتى أزالها الفرس، الذين حكموا الحيرة حكماً مباشراً في مطلع القرن السابع للميلاد.

وأما إمارة الغساسنة فقد أنشاها الروم في الشام درءاً لغارات الأعراب، واتخذت غير عاصمة منها بصري والجابية وجلق ومن أشهر أمرائها الحارث بن جبلة و ولداه عمرو و النعمان وجبلة بن الأيهم وهو آخر أمراء الغساسنة، وخرج في ثلاثين ألفاً إلى الروم ولم يزل هنالك الى أن مات، والمناذرة والغساسنة من بطون قحطان وقد نزحوا من اليمن بعد سيل العرم[1].

وأما إمارة كندة فقد نشأت في نجد، وكانت قد نزحت من حضرموت ومن أشهر ملوكها حُجْر بن عمرو المسمى بآكل المُرار والحارث بن عمرو وحِجْر بن الحارث (والد امرؤ القيس) وقد انتهت بالثورة عليه وقتله.

إذ كان قاسياً جريئاً على أموال رعيته وأعراضها فقتله بنو أسد مع نفر من آل بيته، ثم فر الباقون من المعركة وبذلك زال حكم كِندة عن بني أسد وعن نجد.

وتعد حواضر الحجاز من هذا القسم إذ خضعت لنظام شبه سياسي ومنها مكة، وقد حكمها العمالقة، ثم خلفهم بنو جُرْهم القحطانية وتزوج إسماعيل امراة جرهمية ثم وفدت خزاعة وحلت محل جُرهم واحتفظت مضر بحق الإجازة بالناس من عرفة والإفاضة منهم وبهم غداة النحر إلى منى، وكانت بظاهر مكة وصارت أحياء وبيوتات وتمكن قصي بن كلاب من السيادة على مكة، ولما شاخ وقلت حركته انتقلت لابنه عبد الدار دار الندوة والحجابة والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء ودار الندوة لبني عبد الدار وظلوا على هذا النحو حتى ظهور الإسلام.

([1]) أبو زيد، سامي يوسف، الأدب الجاهلي، دار الميسرة، عمان، 2010م، ط1، م28.

اما الطائف فسكانها من ثقيف فضلاً عن جماعة من حمير وقريش وامتهنوا التجارة وكانوا يتجّرون في الزبيب والحنطة والعسل وتعد الطائف مركزاً دينياً مهماً وكان لثقيف بيت يعظمنوه ويطوفون حوله وبداخله صخرة عظمية تعرف باللات.

وأما يثرب (المدنية المنورة) فتقع شمالي مكة على بعد 500كلم وقد سكنها العماليق، ثم نزل بها اليهود فقبائل الأوس والخزرج ثم هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فاصبحت حاضرة المسلمين[1].

وأما القبائل التى تنحدر من قحطان فهى كندة والأزد وتنوخ وقد نزحت هذه القبائل بعد سيل العرم الذى خرب سد مأرب.

وكانت هذه القبائل تلتمس المعاش وتتنافس في الماء والكلأ ومن ثم تميزت حياتها بالصراع والإقتتال فكانوا يسمون حروبهم و وقائعهم أياماً ومن أشهرها (حرب البسوس) بين بكر وتغلب في أواخر القرن السادس الميلادي وكان السبب في نشوئها اعتداء كليب (سيد تغلب) على ناقة للبسوس خالة جساس فثار جساس وقتل كليباً.

وأيضاً حرب داحس والغبراء في أواخرالعصرالجاهلي وكان سببها سباقاً على رهان بين فرسين، لسيدا عبس وذبيان قيس بن زهير وحذيفة بن بدر، وإذ تقدم داحس اعترضه رجل من ذبيان ونفّره فعدل عن الطريق وبذلك سقط الغبراء، وحدث خلاف بين السيدين لم تلبث الحرب أن اندلعت على إثره وطالت حتى تدخل هرم بن سنان والحارث بن عوف وهما من ذبيان فحتملا الديات و أوقفا الحرب حتى مدحهما زهير بن أبي سلمى في المعلقة المشهورة.

وكان النظام القبلي هو السائد في بقية أجزاء جزيرة العرب ويقوم النظام القبلي على أساس وحدة المجموعة في نسبها إذ ترجع الى أب واحد ويكون على رأس هذا النظام شيخ القبلية الذي يحتكم إليه افرادها عند خصوماتهم ويخضعون لحكمه، ويعيينه في إدارة شؤون القبيلة مجلس

([1]) مرجع سابق، ص30.

يختاره من أعيان القبيلة، فمن الواجبات التى تفرضها القبيلة على الفرد أن يعمل على إعلاء شأنها وأن يحافظ على سمعتها وأن ينصاع لرأيها وإن لم يكن مقتنعاً بصحته.

كما يقول دريد بن الصمة:

ومَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ [1]

ومن حقوق القبيلة على الفرد ألاّ تكثر جرائره فيرهقها بدفع الديات والغرامات وإلا اضطرت القبيلة إلى خلعه منها (فصله من القبيلة) ومن الواجبات أيضاً أن يهب لنجدة من يستغيث به من أفرداها ولو كان ظالماً لغيره كما يقول شاعرهم:

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا

لايسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

أما الحقوق التي تكفلها القبيلة للفرد، فمنها حمايته من الأعداء، و أن تهب لنجدته متى استغاث بها وأن تتحمل عنه الديات ما لم تكثر جرائمه هذا وقد تخل القبيلة في حلف مع قبيلة أخرى أو عدة قبائل على أن تتعاون فيما بينها على الدفاع عن نفسها أو الإغارة على الأعداء[2].

واقترنت الحرب عندهم بالسيطرة والغلبة ظلماً وعدوناً، واستطابوا الموت في سبيل الوصول إلى ما يرونه حقاً ذلك إلى أن الضعيف عندهم لا وزن له ويعبر عن هذا المعنى الجاهلي زهير بن أبي سلمى إذ يقول:

وَمَنْ لم يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ [3]

([1]) الصمة، دريد، ديوان دريد بن لاصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، بيروت، 1980م، ط1، ج1، ص313.

([2]) الأدب الجاهلي، ص31.

([3]) سلمي، زهير بن ابي، ديوان زهير بن ابي سلمى المحقق على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ط1، ص86.

ولشيخ القبيلة امتيازات خاصة، فله ربع الغنائم وما يصطفيه لنفسه منها قبل توزيعه، وله الفضول وهو ما لا يقبل القسمة من الغنائم، ويوصف الشيخ بانه حكيم مجرب يعقد الصلح والمخالفات ويتحلى بأروع المثل العليا من كرم وإقدام ونجدة وفصاحة، فهذا عامر بن الطفيل يسود قبيلته لأنه يحمي الذمار ويتقي الأذى عن الجاهل فنسمعه يقول:

فما سَوَّدَتني عامرٌ عن وِراثةٍ أبى اللهُ أن أَسمو بأُمٍّ ولا أَبِ

ولكنّني أحمي حِمَاها، وأتّقي أذاها، وأرمي مَن رماها بِمَنْكِبِ[1]

وذلك أن العرب عرفوا بالخبرة والتجربة أن الناس لا تستقيم أمورهم إلا بأن يحكمهم أخيارهم واولئك الذين يقيمون النظام ويصرفون الأمور بالحكمة والرشاد على نحو ما يقول الأفوه الأودي:

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ

تُهدى الأمور لأهل الرأي ان صلحتوان تولتْ فبالأشرار تنقاد [2]

ومن هذا المنطلق قالت العرب (إن الرجل يسود بأربعة أشياء: بالعقل، والأدب، و العلم، والمال) ولكنه ليس مطلق السيادة فإذا طغى تخلصت منه القبيلة فقد قتل كليب التغلبي حين استبد مما أشعل حرب البسوس المشهورة[3].

الحياة الدينية

كانت أكثر العرب في الجاهلية وثنية تؤمن بقوى إلهيه كثيرة بانت في الكواكب ومظاهر الطبيعة وفي أسماء قبائلهم مايدل على أنهم كانو قريبي عهد بالطوطمية [4].

([1]) الطفيل، عامر، ديوان عامر، دار صادر، بيروت، 1979م، ص54.

([2]) الأودي، الأفوه، الأفوه الأودي، دار صادر، بيروت،1998م، ط1، ص48.

([3]) عبد ربه، أحمد محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، 1983م، ط1، ص24.

([4]) الكلبي، هشام محمد بن السائب بن بشر، الأصنام، دار الكتب المصرية، ط2، 1993م، ص9.

الطوطمية:-

(هى ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرة طبيعية او مظهراً طبيعياً و كلمة طوطم مشتقة من لغة الأبجوا الأمريكية الأصلية)

إذ تلتف جماعة حول الطوطم تتخذه حاميها والمدافع عنها من كلب وثور وثعلب وقد آمنوا بقوة خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان وليس بصحيح ما يزعمه رينان انهم كانو موحدين فقد كانو يشركون مع الله الهة أخرى كما جاء في القرآن الكريم وكانوا يتعبدون الأصنام وأوثان كثيرة إتخذوها رمزاً لألهتهم ويفيض كتاب الأصنام لابن الكلبي في بيان هذا الجانب[1].

ويظهر أن عبادة النجوم والكواكب دخلت عندهم من قديم وقد جاءتهم من الصابئة والكلدانين، كما جاءتهم من لدن عرب الجنوب الذين كانوا يرجعون بألهتهم إلى ثالوث مقدس وهو القمر أوود، و الشمس أو اللات، والزهرة أو العُزى، ونراهم يقدسون النار ويظهر ذلك إيقادهم لها عند أحلافهم، استمطارهم السماء وتقديم القرابين إليها ويقال أن المجوسية كانت متفشية في تميم وعمان والبحرين وبعض القبائل العربية أو المجوس.

وجاء في كتاب الأصنام لمحمد بن الكلبي أن المجتمع الجاهلي عرفوا، الديانات السماوية السابقة للإسلام كالحنفية (ديانة إبراهيم عليه السلام) واليهودية والمسيحية وأعتنق بعضهم تلك الديانات ودانت بها، هذا الى جانب اعتقادهم في الأصنام والأوثان وعبادتهم لها[2].

([1]) علي، جواد، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، 2001م، ط4، ص25.

([2]) مرجع سابق، ص11.

وكانت عبادة الأصنام منتشرة بينهم إنتشاراً واسعاً وقد صوروها أو نحتوها رمزاً لآلهتهم وقد يرون في بعض الأحجار والأشجار والآبار ما يرمز إليهم ففي أخبارهم أن العزى كانت لقطفان، وهى شجرة بوادي نخلة شرق مكة وقد قطعها خالد بن الوليد وهو يقول:

يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك [1]

ويشير القرآن الكريم الى بعض آلهتهم ورموزها من الأصنامهم وأوثانهم فيقول عز وجل: (أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) [2].

ويقول سبحانه تعالى: (تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [3].

كذلك وجدت الديانة اليهودية والنصرانية في شبه الجزيرة العربية كما ورد ذلك في كتاب شوقي ضيف حيث يقول: (لا نصل إلى العصر الجاهلي حتى نجد اليهود منتشرين في اليمن والحجاز وأنهم هاجروا من موطنهم الأصلي في فلسطين إلى الجزيرة على أثر اصطدامهم بالقيصر طيطوس وهدمه الهكيل في سنة 70م هذه الأثناء فر كثير منهم إلى اليمن، وقد تكون هجراتهم أقدم من ذلك ولكن ليس بين أيدينا نصوص وثيقة، نعرف منها بالضبط مراحل وفدهم على الجزيرة سواء في الحجاز واليمن وحتى هجراتهم في أيام وهدريان غير واضحة تماماً) [4]

وقد استطاع يهود اليمن في أوائل العصر الجاهلي أو بعبارة أخرى في أوائل القرن السادس الميلادي أن يؤثرو في ملك من ملوك التابعة وهو ذو نواس وأن يدخلوه في دينهم، وقد دفعوه دفعاً للتنكيل بنصارى نجران وتحريفهم وفي ذلك نزلت الأية الكريمة قال الله تعالى: (قُتِلَ

([1]) مرجع سابق، ص17.

([2]) سورة النجم، الآية 18 – 20.

([3]) سورة نوح، الاية 22 – 23.

([4]) العصر الجاهلي، ص97.

أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ 4 النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود5 إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ6 وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ 7 وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ 8)[1]

أما عن النصرنية فإننا نجدها في اليمن وشمالي الجزيرة العربية والشرقية ويظن أن انتشارها في اليمن بدأ منذ القرن الرابع الميلادي وكان من أهم أسباب انتشارها هنالك بعثات دينية كان يشجعها القياصرة ولعلهم أرادو بذلك النفوذ إلى فرض سلطانهم على البلاد وتحول كنوز قوافلها إليهم ولا نصل إلى العصر الجاهلى حتى نرى النصرانية منتشرة في نجران وغيرها ويظهر أن نجران أهم مواطنها وقد نكبهم ذو نواس نكبته المشهورة وعمت النصرانية وانتشرت وإعتنقها كثيرون وبنيت لها كنائس في غير مدنية واحدة ومن أشهر كنائسها كنيسة نجران[2]

أما الحنفية فمع شيوع عبادة الأصنام بين العرب إلا أن بعضهم إهتدى بفطرته الى بطلان تلك العقيدة لما شاهده من بعض المشاهد التى أكدت بطلانها ومن ذلك ما روى أبو هلال العسكري من قصة المثل: (لقد ذل من بالت عليه الثعالب فقال يضرب مثلاً لرجل المهين يظلم فلا ينتصر وأصله أن أعرابي كان يأتي صنماً في بعض الصحاري فيسجد له، فأتاه يوماً فوجد ثعلباً يبول عليه فقال: [3]

أربٌ يبول الثُّعلبان برأسه لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب

فلو كان رباً كان يمنع نفسه فلا خير في رب نأته المطالب

برئت من الأصنام في الأرض كلها وآمنت بالله الذي هو غالب

وذهب آخر الى صنم له يقال له سعد ليبارك له إبله فما إن رأت الأبل ذلك الصنم حتى فرت وتفزعت لبشاعته ومنظره القبيح فأخذ حجراً ورمى بصنمه ثم قال

([1]) سورة البروج، الاية 3 – 8.

([2]) تاريخ العرب قبل الإسلام، ص91.

([3]) العسكري، أبو هلال، دار الفكر، 1998م، ط1، ج1، ص465.

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتَنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ من سعدٍ

وَهَلْ سَعْدٌ الَّا صَخْرَةٌ بِتَنُوفَة مِنَ الْأَرْضِ لَا تَدْعُو لغي ولا رشدٍ[1]

الحياة الاجتماعية الجاهلية

وسوف نُلقي بعض الضوء على الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، كانت القبيلة في العصر تتألف من ثلاثة طبقات:

أبناؤها: وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها.

العبيد: وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة.

الموالي: وهم عتقائها، ويدخل فيهم الخُلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم وكانوا يعلنون هذا الخُلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها، مثله مثل أبنائها.

ومن هولاء الخلعاء طائفة الصعاليك المشهورة فكانوا يمضون على وجوههم في الصحراء، فيتخذون النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم على نحو ما نعرف عن تأبط شراً والسليك بن السلكة والشنفرى على أن منهم من كان يظل في قبيلته لفضل فيه مثل عروة بن الورد، وكان كريماً فياضاً وأثر عنه أنه كان يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عبس ومعوذيها ومرضاها متخذاً لهم حظائر يأوؤن فيها، قاسماً بينه وبينهم[2].

وهذا الخلع يحدث في حالات شاذة، أما بعد ذلك فإن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشد مايكون التضامن وأوثقه، وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف وقد تكونت حوله

([1]) العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب جمهرة الأمثال، دار الجبل، بيروت، 1408هـ، ط2، ص53.

([2]) العصر الجاهلي، ص76.

مجموعة من الخلال الكريمة، لعل خير كلمة تجمعها هى كلمة المرؤة التى تضم مناقبهم، مثل الحلم، والكرم، والوفاء والغض عن العورات.

ولم تكن خصلة عندهم تفوق الكرم، وقد بعثها فيهم حياة الصحراء القاسية ومافيها من إجداب وإمحال فكان الغني يفضل على الفقير لأنه يذبح إبله في سنين القحط يطعمها عشيرته كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليهم.

وأشتهر عندهم كثيرون[1]، بالكرم الفياض في مقدمتهم حاتم الطائي الذي ضربت الأمثال بكرمه، وهو يصوره في كثير من شعره كقوله:

إذا ما بخيلُ الناسِ هرّتْ كلابُه وشقَّ على الضّيفِ الغريبِ عقورُها

فإنّي جبانُ الكلبِ بيتي مُوَطّأٌ جوادٌ إذا ما النفسُ شحَّ ضميرها

وكانوا لا يقدرون شيئاً كما يقدرون الوفاء فاذا وعد أحدهم وعداً أوفى به و أوفت معه قبيلته بما وعد، ومن ثم أشادو بحماية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهداً أن ينصروه وجعلهم ذلك يعظمون الأخلاق فلا ينقضوها مهما قاسوا بسببها من حروب وبلغ من إعتدادهم بهذه الخصلة أن كانوا يرفعون لمن يغدر منهم لواء في مجامعهم وأسواقهم حتى يلحق به عار إلى الأبد يقول الحادرة لصاحبته سمية:

أَسُمَّيَ وَيْحَكَ هل سمعتِ بِغَدْرَة رُفع اللِّوَاءُ لنَا بِها في مَجمعِ

فهم لا ينكرون شيئاً مثل إنكارهم للهوان والضيم فهما السواة الكبرى والمثلية العظمى إذ يعنيان الذل وأن القبيلة أُستبحيت فلم تعد تستطيع الدفاع عن كرامتها وكل شيء إلا الهوان، وكان أقل شعور به يثيرهم، مثل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند حين علم بإهانة أمه في بلاطه، وكان نازلاً معها عنده، فاستل سيفه وقتله، تغنى شعراء تغلب طويلاً بهذا الحادث مفاخرين بعزتهم وكانت سبباً في إنشاء معلقته.

([1]) الهاشمي، أحمد بن حبيب بن أمية، المحبر، تحقيق، إليزة ليختن، دار آفاق، بيروت، 1245هـ، ج1، ص137.

وهنالك آفات تشيع في هذا المجتمع الجاهلي لعل أهمها الخمر وإستباحة النساء والقمار، ونحن نجد الخمر تجري على كل لسان وقد اشتهر بالحديث عنها وعن كوؤسها وحوانيتها ومجالسها أعشى قيس وعدي بن زيد العبادي، وعرض لها كثيرون في أشعارهم مفاخرين بأنهم يحتسونها ويقدمونها إلى رفاقهم وأكثر من كان يتجربها اليهود والنصارى، وكانوا يجلوبنها لهم من بصري وبلاد الشام ومن الحيرة وبلاد العراق.

أما المرأة ومكانتها في هذا المجتمع، فقد كان هنالك نوعان من النساء (إماء وحرائر) وكانت الإماء كثيرات، وكان منهن قينات يضربن على المزهر وغيره في حوانيت الخمارين كما كان منهن جوارٍ يخدمن الشريفات، وقد يرعين الإبل والأغنام وكنّ في منزلة دانيا، وكان العرب إذا إستولدوهم لم ينسبوا الى أنفسهم أولادهن إلا إذا أظهروا بطولة تشرفهم على نحو ماهو معروف مثل عنترة بن شداد فإن أباه لم يلحقه بنسبه إلا بعد أن أثبت شجاعة فائقة ردت إليه اعتباره.

وكانت الحرة تقوم بطهي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الحياة، إلّا إن كانت من الشريفات المخدومات، فانه كان يقوم لها على هذه الأعمال بعض الجواري، وتدل دلائل كثيرة على أن بنت الأشراف والسادة لهن منزلة سامية فكن يخترن أزواجهن ويتركنهن إذا لم يحسنوا معاملتهم.[1]

وبلغ شأن بعض الشريفات أنهن كن يحمين من يستجير بهن ويرددن إليه حريته إذا استشفع بهن على نحو ما ردت فكيهة إلى السليك بن السلكة حريته حين وقع أسيراً في يد عشيرتها من بني عوار وكانو يعدونها جزء لا يتجزأ من عرضهم، ولم يكن شئ يثيرهم كسبي نسائهم وهم بعيدين عن الحي، فكانوا يركبون ورائهم كل وعر حتى يلحقو بهن وينقذوهن ويغسلوا

([1]) الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار لبنان، بيروت، 1420هـ، ط2، ص13.

عار سبيهن عنهن وهوعار عندهم ليس فوقه عار، وكانوا يصحبوهن معهن في الحرب وكن يشددن من عزائمهم بما ينشدن من أناشيد حماسية.

المعيشة:-

لم يكن العرب يعشون في الجاهلية معيشة واحدة فقد عرفت الزراعة في الجنوب والشرق وواحات الحجاز مثل يثرب وخيبر وفي الطائف. ووادي القرى وعاش أهل مكة على التجارة.

إذ كان يحملون عروضها بين حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالاً وجنوباً في طرق معلومة كما كانت تجوبها شرقاً في طريقين معروفين طريق إلى الخليج الفارسي من شرق مكة وكان يمر بطريق الرياض الحالية، وطريق آخر كانوا يذهبون فيه شمالاً إلى خيبر ثم يخترقون الصحراء في وادي الرُمة، ويظن أنه كان مجرى نهر في عصور ما قبل التاريخ ومنه يهبطون إلى الحيرة وكان يصحبهم في هذه القوافل أدلاء يحمونهم الضلال في مجاهل الصحراء[1]. ومن أشهرهم فرات بن حيان،كما كان يصحبهم خفراء يحمون قوافلهم من ذؤبان البادية وقراصنتها.

وجاء في الأدب الجاهلي أن هنالك معتقدات وتقاليد متنوعة خضعت إليها الحياة الجاهلية وأبطلها الإسلام ووقف منها موقف الرفض القاطع لسوئها مثل الأنصاب... الأزلام... والبحيرة والسائبة والواصلة، والحامي، ووأد البنات وعدم التورع عن دفنها حية في التراب، بالأضافة إلى أنهم كانو يلجأون إلى النسئ وهو تأخير للأشهر الحرم عن ميعادها تحايلاً لاستمرار القتال، وكانو لديهم الربا متفشياً مستغلين حاجة المحتاج وعوز الفقير فحرم ذلك كله الإسلام وخلص الحياة العربية من التصرفات الجاهلية[2].

([1]) عمر، محمد، المغازي، دار صادر، بيروت، 19876م، ج3، ط3، ص37.

([2]) محمد، وجيهة، الأدب الجاهلي حياة وسمات، العلم وإيمان، كفر الشيخ، 2006م، ط1، ص30.

الحياة الاقتصادية:

أي مجتمع تؤثر فيه الحياة الاقتصادية تأثيراً عميقاً في كيانه وفي نواحي الحياة، فلها تأثيراً إذاً في إتجاهات الشعر لأنه مظهر من مظاهر الحياة، إن الإقتصاد يوجه أو يحدد وجهات الناس في الحياة ويهيئ لهم سبل التفاؤل أو التشأؤم ويشيع فيهم السعادة أو الشقاء...، فاذا قال قائل:(إن المال ميزان الشعوب لم يخطئ ولم تزيد فالأمم في كل أدوار التاريخ تقاس بما وصلت إليه حالتها الاقتصادية، وبما بلغه متوسط دخل الأفراد فيها[1].

فكانت سبل العيش في الجزيرة العربية متنوعة بحسب ما عليه الظروف الطبيعية في كل أقليم من أقاليمها، ففي بعض النواحي احترف العرب الزراعة وفي نواحي أخرى الرعي والتجارة، وكذلك العبيد وقد وصف ابن خلدون جانباً من معيشة أهل البادية فقال: (أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن...، ومقصّرون فوق ذلك من حاجي أو كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منحوت! ما هو نحو قصر الأستظلال والسكن، ومن الغدران والكهوف، فمن كان معاشه منهم في الزراعة والفلح والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن) [2]

احترف العرب في جاهليتهم رعي الإبل والأغنام في أنحاء عديدة، وكانت الإبل أكثر حيواناتهم، لمقدرتها على ملائمة طبيعة أرضهم الصحرواية التى يقل فيها الكلأ والماء، وكانت اكثرفائدة فهى أداة ظعنهم ومن لحمها ولبنها مطعمهم ومشربهم ودهنهم ومن وبرها أثاثهم ومن

([1]) هداره، محمد مصطفى، إتجاهات الشعر العربي، دار المعارف، 1963م، ط1، ص 107.

([2]) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، 1408هـ، ط 1، ص105.

جلودها بيوتهم ومن بعرها وقودهم ومن أوبارها دواؤهم لبعض عللهم كما كانت مالهم الذي يدفعونه في الديات ومهورهم في الزواج وغرامتهم في الصلح. [1]

قال الله تعالى:(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ 5 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ 6 وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ 7) [2]

فكانت نجد بادية في الأكثر من أجل ذلك كان سكانها أهل رحله ينتقلون بأبلهم وأنعامهم من مكان الى آخر طلباً للماء والمرعى، وكان من أسباب معيشة البدوي الغزو، وذلك أن يهاجم جماعة من الناس (البدو) جماعة أخرى للإستلاء على مواشيها غصباً، أما إذا إستولى على شئ وأهله غائبون فذلك هو السرقة. [3]

وكان للعرب بجانب ذلك صفات حميدة تنبع من فطرتهم السليمة التى فطرهم الله عليها ، كالكرم؛ ومن سننهم فيه أنهم كانوا يوقدون النارعلى الكثبان والجبال، ومن أجودهم حاتم الطائي الذي ضربت به الأمثال كرماً ووفاءً بالوعد وحماية الجار والنجدة.

ولقد كانت القوة هى مثلهم الأعلى ذلك أن الصحراء لم تكن سخية ولا رحيمة بهم، ومن لم يبادر بالعداوة يعتدى عليه والمكانة الأولى للظالم، فكان القوي يغير على الضعيف فيسلبه ماله وإبله ويخلفه على نسائه ويجليه عن مواطن الكلأ والماء كما قال عمر بن كلثوم: [4]

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِيْنَا

([1]) الحسن، حمد النيل محمد، الأدب الجاهلي (تاريخ، دراسة، نصوص)، ط1، 1426هـ، دار الرشد، ص219.

([2]) سورة النحل، الأيتان 5– 7.

([3]) فروخ، عمر، الأدب القديم، دار العلم، بيروت، ط1، ص 65.

([4]) عتاب، عمرو بن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، شرح رحاب عكاوي، 1996م، دار الفكرالعربي، ط4، ص 15

وقد قامت حياة العرب عامة على الرعي وأعتمدت على الكلأ والماء، على أن هنالك منهم جماعة امتنهوا التجارة وعاشوا عليها، كانت قوافلهم تتجه نحو الشام واليمن حاملة مختلف السلع، واعتمد بعضهم على تربية النحل خاصة قبيلة هذيل، في حين اتخذ جماعة منهم الصيد مصدراً الرزق، ويذخر شعرهم بالطرد وهو وصف الحيوان الصائد والمصيد. [1]

([1]) كفافي، منذر ديب، الأدب الجاهلى، دار المسره، الأردن، 2000م، ط1، ص24.

الفصل الأول

بعض القيم الإنسانية في العصر الجاهلى (الكرم، الشجاعة، الوفاء بالوعد)

المبحث الأول: الكرم

المبحث الثاني: الشجاعة.

المبحث الثالث: الوفاء بالوعد

تمهيد:

القيم لغةً: قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه ومن الإنسان طوله.

القيم هى مجموعة من المبادئ التى عليها الحياة والتى يسعى الإنسان للتحلى بها فهي التى تساعده على أن يحى حياة كريمة وسليمة، فهى التى تعني كرامته وحريته، وتدعم حقوقه وتحثه على القيام بواجباته كما تحافظ على عرضه وماله.

والأمة القيمة: المستقيمة المعتدلة وفي التنزيل الحكيم قال الله تعالى: (وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ).[1]

الإنسانية: أسم منسوب إلى الإنسان وهى مجموع خصائص الجنس البشري التى تميزه عن غيره من الأنواع الغربية ضد البهيمية أو الحيوانية. [2]

إنسان: اسم جنس لكائن حىّ، مفكّر قادر على الكلام، المفُصل أو الاستنباط و الاستدلال العقلي على الذكر والأنثى من بني أدم قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [3]

وتقول ملحس في مؤلفها عن القيم: (كنت ولا أزال أعتبر الشعر فضيلة تتغنى بالقيم الروحية المُطلقة، وكنت ولا أزال أعدُّ الشعر الذي لا يحرك الشعور في الإنسان ولا يرفع بالفكر إلى أعماق الخبايا النفسية فكراً وتجربة إنسانية حميمة غير أن هذا الإعتبار ولديّ الفرصة أن أقضي عامين متتالين في البحث والتنقيب عن تلك القيم في الشعر العربي قديمه وحديثه محاولةً لفتح باب جديد لدرأسة أدبنا). [4]

([1]) سورة البينة، الأية 5.

([2]) معالي، محمد محن، معجم معالي اللغة، مادة (ق، ي، م).

([3]) أبو العزم عبد الغني، معجم الغنى، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م، ص316

([4]) عبد الفتاح، ثريا ملحس، القيم الروحية في الشعر العربي، دار البشير، 1964م، ط1، ص432.

المبحث الأول

الكرم

لقد كان المجتمع الجاهلي، قائماً على أساس مجموعة من القيم الفطرية، إذ هنالك قيم فيها خيراً وهنالك قيم فيها شراً، وما يهمنا هنا هي القيم التي فيها خيراً، فكانت كل قيمة من القيم اصّلت الإنتماء للنفس العربية حيث نال بها الشاعر مكانة عالية في قبيلته.

وأيضاً تختلف القيم في المجتمع الجاهلي سلباً وإيجاباً على حسب تقاليد وأعراف القبيلة التى آمنت بهذه القيم، فأخذها الإنسان العربي وتسلح بها ودعا إليها، وما أكثرها من قيم ولكننا نقف في بحثنا هذا إن شاء الله على قيمة الكرم، والشجاعة، والوفاء بالعهد.

كرم: الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه وهو الكريم المطلق.

الكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل وهو اسم جامع لكل مايحمد فالله عزوجل كريم حميد الفعال. [1]

وقد جاءت لفظة الكريم في القرآن العظيم قال الله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)[2]

جاء في تفسير السعدي وأما المقسم عليه، فهو إثبات القرآن، وأنه حق لاريب فيه ولا شك يعتريه، وأنه كريم أي كثير الخيرغزير العلم. [3]

وأيضاً كتب الأدب حافلة بأخبار كرم العرب والكرم العربي الجاهلي معروف، وفي التاريخ سيدنا إبراهيم هو أول من أضاف الضيف، وأول من ثرد الثريد. [4]

([1]) ابن منظور، أبي الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (ك، ر، م).

([2]) سورة الواقعة، الأية 77.

([3]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الرسالة، 2000م، ط1، ص215.

([4]) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت،ج1، ط1، ص85.

وكان الكرم خلق الكثرة الكاثرة منهم أرتضته لهم بيئتهم وشجعتهم عليه ظروفهم فمدحوه وذموا البخل وقد عاب بعضهم قيس بن عاصم أنه أوصى بنيه فكان أكثر وصيته أن يحفظو المال ، والعرب لا تفعل ذلك بل تراه قبيحاً. [1]

ولقد كانت البيئة العربية صحراء قاحلة وكان سكانها من البدو في ترحال مستمر فراراً من الجدب وبحثاً عن موارد المياه والكلأ تلك البيئة جعلت الجاهلي يدرك قيمة قرى الضيف، وإعانة المحتاج ونصرة المظلوم وغيرها من القيم النبيلة، فكان يتشبث بهذه القيم حتى تعم وتنتشر ويعود إليه في النهاية خيرها وأثرها، فالطبيعة قد تقسو على المتنقل في الصحراء بسبب أو بآخربحيث تنقطع عنه موارده أحياناً ومن ثم يصبح إعتماده على كرم الأخرين في بعض الحالات أمراً حيوياً.

فالكرم أو قرى الضيف دعامة أساسية في هذا المجتمع الذي قد يكون فيه أي فرد مهما كان مركزه عرضة لهذا الموفق، أضف إلى ذلك أن الكرم إنفاق المال في نظرهم وسيلة لكسب المحامد وأن الكرم من أسباب السيادة يقول حاتم الطائي:

يَقولونَ لي أَهلَكتَ مالَكَ فَاِقتَصِد وَما كُنتُ لَولا ما تَقولونَ سَيِّدا[2]

اهتدى الجاهليون إلى (الكرم) كوسيلة للاحتياط من هذا التقلب وتخفيف أسوأ عواقبه فهو نوع من ضمان المستقبل أو سمة (التأمين الاجتماعي) إن شئت فالمال كما يقول شاعرهم غادٍ ورائح ولايبقى منه إلاّ الأحاديث والذكر، فإن اشتهر عنك أنك كنت كريماً في زمن غناك فهذا أجدر أن يحمل الأخرين على معونتك إذا افتقرت وإحتجت لذلك يقول أحد الشعراء.

وَلَا تحرم الْمولى الْكَرِيم فَإِنَّهُ أَخُوك وَلَا تَدْرِي لَعَلَّك سائله

([1]) الأصبهاني، علي بن حسين بن محمد، الأغاني، دار الفكر، ج2، ط2، بيروت، 1988م، ص 150.

([2]) جمال، عادل سليمان، ديوان حاتم الطائي المحقق أحمد رشاد، دار المدني، ط3، القاهرة، ص 23.

ويقول آخر:

وَأَنَّكَ لا تَدري بِإعطاءِ سائِل أَأَنتَ بِما تُعطِيهِ أَم هُوَ أَسعَدُ.

عَسى سائِلٌ ذُو حاجَةٍ إِن مَنَعتَهُ مِن اليَومِ سُؤلاً أَن يَكون لَهُ غَدُ.[1]

الحقيقة هى أن كرم العرب قبل الإسلام كان منظور في معظمه إلى الفائدة المادية التى تعود على صاحبه.

وأن العصر الجاهلي لم يخلو من أفراد فهموا هذا النوع العالي من الكرم، ومنهم ممدوح زهير الذي وصفه ببيته الرائع المشهور:

تراهُ إذا ما جِئْتَه مُتَهَلِّلا كأَنَّك تُعطيه الذي أنتَ سائلُهْ[2]

وكان هنالك الكرم الفائق الذي أقره الإسلام وكان هؤلاء العرب يجودون بكل مالهم في سبيل إكرام الضيف وقد حكى الحطيئة في صورة فنية لافتة، قصة كرم رائعة في قصيدته الميمية المشهورة التى مطلعها[3]

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ بِتيهاءَ لَم يَعرِف بِها ساكِنٌ [4]

وتحكي قصة بدوي انقطع في خيمة بأبنائه في الصحراء طرقه ضيف ذات ليل بهيم فأشتد به الأسى والحزن، لأنه لا يملك ما يكرم به ضيفه فأشار عليه ابنه أن يذبحه ويقدم لضيفه من لحمه طعاماً، حتى إذا ما أراد ذبحه ظهر من بعيد قطيع من حمر الوحش أنطلق الأب وأصاب منه فقال:

فَخَرَّت نَحوصٌ ذاتُ جَحشٍ سَمينَةٌ قَدِ اِكتَنَزَت لَحماً وَقَد طُبِّقَت شَحما

([1]) النويهي، محمد، الشعرالجاهلى منهج في دراسته وتقويمه، دار الكتب العلمية، القاهرة، ج1، ص234.

([2]) سلمى، زهير بن ربيعة بن رباح، ديوان زهيربن أبى سلمى، المحقق على حسن فاعور، ص57.

([3]) قمحية، جابر، قيم إنسانية في المجتمع الجاهلي، دار الكتب العلمية، القاهرة،2014م، ط1، ص80.

([4]) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوان الحطيئة تحقيق أمين طه، دارصادر، مصر،1958م، ص116.

وأكلو وشربوا.

فَباتَوا كِراماً قَد قَضوا حَقَّ ضَيفِهِم فَلَم يَغرِموا غُرماً وَقَد غَنِموا غُنما

وَبَاتَ أَبُوْهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبـاً لِضَيْفِهِمُ وَالأُمُّ مِنْ بِشْرِها أُمّا

القصة وإن غلب عليها الخيال وظهرت فيها بصمات من قصة الذبيح العربي إلا أنها تصور مدى حرص العربي على إكرام الضيف وخشيته المعره إذا ما رد ضيفه بلا إطعام.

ومن خلال ما ورد أن الكريم شخص موهوب يتمتع بنقاء روحي لا يوجد لدى جميع الناس، ومن ثم يمكننا القول إن الرجل الكريم شخص حباه الله بحاسة مرهفة تسمو به فوق حدود النفس الضيقة، وذكر صاحب تاج العروس إن الكريم (الصفوح عن الذنب) [1]

لأنه عندما يتكرم عن الشئ، فهذا يعني ترفعه عما يشبه حرصاً على سلامة نفسه من الإتصاف بالصغائر والدنايا، ومما ذكره الراغب الأصفهاني في تحديد معنى الكريم، قول بعضهم:(السخي من كان بماله متبرعاً وعن مال غيره متورعاً) [2] والسخي هو الكريم، لأن السخاء والكرم والجود كلها ذات معنى واحد، وفي هذه العبارة يوصف الكريم بالعفة والترفع سؤال غيره، وفي الوقت الذي يبذل فيه في سبيل الأخرين.

وقد ركز الشعراء على وصف الكريم بالشهامة والمروءة والنجدة، وذلك لما لمسوه من رغبته الصادقة في تقديم يد العون لكل محتاج حتى ليبلغ مدى الظن به إذ يحرص على قضاء وتلبية حاجة المتلقى أكثر من حرص صاحب الحاجة نفسه، وعادة ما يؤثر غيره على نفسه طاوياً بطنه من الجوع، وهذا قمة التفضيل على الأخرين فالكريم إذاً رجل فاضل ويتلف ماله في البذل والعطا لإشباع رغبة تتململ في داخله بأن يكرم، لذلك يوصف بأنه ندي الكف والبذل

([1]) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مهدي المخزومي، دارالهداية، الكويت، ج9، 1965م، ص14.

([2]) الأصفهانى، أبو القاسم حسين، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، دار الأرقم، لبنان، بيروت، 1420هـ، ط1، ص 648.

والعطاء في نفسه طعم ومذاق خاص، فلا غرو إذا تواتر الناس على القول بأن الكرام هم أسياد الدنيا، وأنهم قلةّ بين اللئام وباقي البشر.

كما قال الشاعر السمؤال بن عاديا[1]

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ

ولعل لدى الجاهلي أن أبرز صفات السيادة في القبيلة صفه الكرم، فالكريم يتمتع بوضع اجتماعي متميز بين عشيرته، واضح النفوذ مسموع الكلمة يستشار فيما يهم القبيلة من أمور، ومن أجل هذا حرص العرب على التحلي بهذه الصفه، والبعد عن الإتصاف باللؤم وهذا يبرز في قول حاتم:

يَقولونَ لي أَهلَكتَ مالَكَ فَاِقتَصِد وَما كُنتُ لَولا ما تَقولونَ سَيِّدا. [2]

بمعنى أن جوده وكرمه جعلاه في مقدمة أهل القبيلة حيث تبوأ مكاناً عالياً، وقالت العرب: (من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة) [3] ويعتبر الترحيب بالضيف ومقابلته ببسط الوجه أولى مداخل الكرم. وفي هذا يقول حاتم:

سَلي الجائعَ الغَرْثانَ يَا أُمَّ منذرٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي [4]

هَل اَبْسُطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

وهذا يؤكد عند الجاهلي أن المقابلة الطيبة أمر لابد منه لانه علامة الكرم الحقيقي، ولايعني عنه كثرة المأكول، يقول شاعرهم في ذلك:

أُضاحكُ ضيفِي قبلَ إنزال رَحْلهِ فَيُخِصِبُ عِندِي وَالمكانُ جَديبُ

وما الخِصبُ للأَضْيافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرى ولكنما وجهُ الكريم خَصيبُ [1]

([1]) شهاب الدين، بن عبده ربه، العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح، أحمد أمين أحمد الزين القاهرة، 1948م،ج1، ص192.

([2]) حاتم الطائي، الديوان، ص 75،

([3]) الجاحظ، عمرو بن بحر،البيان والتبين تحقيق عبد السلام هاورن، دار لبنان، بيروت، ج1، ط4، ص23.

([4]) مرجع سابق، 78.

ويقول أعرابي:

نقريهم الوجه ثم البذل يتبعه لا نترك الجهد منا قلّ أو كثراً [2]

وقال آخر:

أَبسطُ وجهي للضُّيوف النُّزَّلِ والوجه عنوانُ الكريم المفضلِ [3]

ومن صور الكرم أيضاً قول النابغة:

أَعْطَى لِفَارِهَةٍ حُلْوٍ تَوَابِعُهَا مِن المَوَاهِبِ لا تُعْطَى عَلَى نَكَدِ

الوَاهِبُ المِائَةَ المَعْكَاءَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تَوْضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللِّبَدِ

وَالرَّاكِضَاتُ ذُيُولَ الرِيطِ فَانَقَهَابَرْدُ الهَوَاجِرِ كَالغِزْلَانِ بِالجَرَدِ[4]

ولعل أبرز من ذاعت شهرته في هذا المضمار، كما ذكرت سابقاً هو حاتم الطائي، فهو أكثر من ينسب إليه الجود فيقال: جود حاتمي، وتارة يضاف إليه فيقال: حاتمي الجود، فهو أسطورة الكرم قال عنه ابن الأعرابي كما ورد في كتاب الأغاني: (كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يشبه شعره جوده، ويصرف قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر اطلق، وكان إذا أهل الشهر الذي كانت تعظمه في الجاهليه، ينحر كل يوم عشرة من الأبل، فأطعم الناس واجتمعو إليه) [5]

ويفتخرون بتقديم الإبل الجيدة لإكرام ضيفهم والسمينة، فيقول تميم بن مقبل: [6]

ونُطْعِمُ الضَّيْفَ مَعْبُوَط السَّنَامِ إِذَا أَلْوَتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ الهُوْجُ بالحُظُرِ

([1]) البيان والتبين، ص3.

([2]) محاضرات الأدباء، ج1، ص654.

([3]) نفسه، ص654.

([4]) النابغة، الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار لبنان، بيروت، 1964م، ط1، ص 23.

([5]) الأصبهاني، علي بن حسين بن محمد، الأغاني، دار لبنان، بيروت، 284، ط1، ص366.

([6]) مقبل بن تميم، الديوان، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، 1995م، ط1، ص90.

وقال حسان: [1]

وإنّا لنَقري الضّيفَ، إن جاء طارِقاً، من الشحم، ما أمسى صَحيحاً مسلَّما وافتخروا بالقدر التي يُطهى عليها الأكل والجفان، قال حاتم:

وَأُبرِزُ قِدري بِالفَضاءِ قَليلُه يُرى غَيرَ مَضنونٍ بِهِ وَكَثيرُها. [2]

وأروع ماقيل في الكرم الجاهلى قول زهير في هرم بن سنان:

تراهُ إذا ما جئْتَه مُتَهَلِّلا كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ سائلُهْ[3]

ويدخل أيضاً في إكرام الضيف الحديث إليه واعتبار البيت بيته و الفِراش فِراشه وكلهم تمثل عندهم كمال الكرم وتمام الضيافة كما قال عروة:

فِراشي فِراشُ الضَيفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ وَلَم يُلهِني عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ

أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَديثَ مِنَ القِرى وَتَعلَمُ نَفسي أَنَّهُ سَوفَ يَهجَعُ [4]

وهذا ما يدل على اهتمامهم بالضيف وعدم انشغالهم عنه حتى لو كانت هنالك امراة كالغزال في الحسن والجمال وأيضاً يدل على هذا قول الشاعر:

وَإِنَّا لَمَشّاؤُنَ بَينَ رِحالِنا إلى الضيف منا لاحق ومقيم

فَذُوا الْحِلْم مِنَّا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ وذُو الْجَهْلِ مِنَّا عَنْ أَذَاهُ حَلِيمُ [5]

وهاهو حاتم الطائي يخاطب زوجته ماوية بنت عبدالله إذا صنعت له الزاد أن تجد من يؤاكله لأنه لا يأكل وحده وهذا لكرمه قال:

أَيا اِبنَةَ عَبدِ اللهِ وَاِبنَةَ مالِكٍ وَيا اِبنَةَ ذي البُردَينِ وَالفَرَسِ الوَرِدِ

([1]) ديوان حسان، ص321.

([2]) حاتم، عبدالله بن سعد، ديوان حاتم الطائي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1981م، ص24.

([3]) ديوان زهيربن أبى سلمى، ص68.

([4]) ابو تمام، حبيب بن أوس، الحماسة، تحقيق على المفضل حمودان، مركز جمعة الماجد دبي، 1992م، ج1، ط1، ص314.

([5]) الحماسة، ص 247.

إذا ما صَنَعتِ الزادِ فَالتَمِسي لَهُ أَكيلاً فَإِنّي لَستُ آكِلَهُ وَحدي

أَخاً طارِقاً أَو جارَ بَيتٍ فَإِنَّني أَخافُ مَذَمّاتِ الأَحاديثِ مِن بَعدي

وَإِنّي لَعَبدُ الضَيفِ ما دامَ ثاوِياً وَما فيَّ إِلّا تِلكَ مِن شيمَةِ العبد[1]

ويحثها في هذه الأبيات أيضاً أن تكثر في الطعام فلا تطبخ ما يكفي حاجتهم فقط، بل وجب عليها أن تضيف على ذلك لأنه لن يأكله وحده فربما لو مر عليه عبد أو عابر سبيل و طلب أكلاً فلابد أن يعطيه لأنه لا يحبذ الكلام عنه في ظهرالغيب كما يخبرها بأنه خادم للضيف الجائع، لان هذا من قيم وشيم الرجال.

وأيضاً من مظاهر الكرم نجد أن لبيد كان من الأجواد المشهورين نذر في الجاهلية إن هبت الصّبا إلا أُطعم[2]

وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم فهبت الصّبا يوماً والوليد بن عتبة على الكوفة فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال إن أخاكم لبيد قد نذر في الجاهليه أن لا تهب الصّبا إلا أطعم وهذا اليوم من أيامه وقد هبت الصّبا فأعينوه وأنا أول من فعل ثم نزل عن المنبر فأرسل اليه مائة بكرة وكتب إليه بأبيات قالها وهى:

أرَى الجَزّارَ يَشْحَذُ شَفرَتيهِ إذا هَبّتْ رِياحُ أبي عَقيلِ

أشمُّ الأنفِ أَصْيَدُ عامريٌّ، طويلُ الباعِ كالسّيفِ الصّقيلِ

وفَى ابنُ الجَعفَريّ بما نَواهُ، على العِلاَّتِ والمالِ القَليلِ

يُذَكّي الكُومَ ما هَبَّتْ عليهِ رِياحُ صَباً تجاوَبُ بالأصيلِ [3]

([1]) ديوان حاتم الطائي، ص 19.

([2]) عبد المحسن بن حمد بن العباد، شرح صحيح البخاري، الجامعة الإسلامية المدينه المنورة ط1، 2004م، ص424. الصّبا هى ريح تاتي من الشرق الى الغرب وهى رياح معروفه بانها طيبة النسيم وهى الريح التى نصرت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال عنها: (نصرت بالصّبا وأهلكت عاد بالدبور).

([3]) مرجع سابق، ص161.

فلما أتاه الشعر وكان قد ترك قول الشعر قال لابنة له خماسية أجيبه فلقد رايتني وما أعي بجواب شاعر فقالت:

إذا هَبَّتْ رِياحُ أبي عقيلٍ، دَعَونا عندَ هَبّتِها الوَليدَا

أشَمَّ الأنفِ، أصْيَدَ عَبشَمِيّاً أعانَ على مُروءَتِهِ لَبيدَا

بأَمثالِ الهِضابِ، كأنَّ رَكباً عَليها من بَني حامٍ قُعُودَا

أبا وَهبٍ! جَزَاكَ اللَّهُ خَيراً نَحَرناها، وأطعَمنا الوُفُودَا [1]

ويخاطب حاتم زوجته قائلاً: [2]

لا تَستُري قِدري إذا ما طَبَختُه عَلَيَّ إذا ما تَطبُخينَ حَرامُ

وَلَكِن بِهَذاكَ اليَفاعِ فَأَوقِدي بِجَزلٍ إذا أَوقَدتِ لا بِضِرامِ

يخاطب حاتم الطائي زوجته الأ تستر قدر الطعام، إلاّ فطعامها حرام عليه، ويأمر بحزم أن توقد النار في مكان عال ليراها الناس وأن يكون حطب النار من النوع الذي يشتعل فتتأجج وترتفع ألسنتها ولا تختار لها الحطب الذي لا جمر له.

ومن كرمه أيضاً، جاءت زوجته تلومه على إسراف وضياع مال أبنائها فرد عليها بهذه الأبيات:

وَعاذِلَةٍ هَبَّت بِلَيلٍ تَلومُني وَقَد غابَ عَيّوقُ الثُرَيّا فَعَرَّدا

تَلومُ عَلى إِعطائِيَ المالَ ضِلَّةً إذا ضَنَّ بِالمالِ البَخيلُ وَصَرَّدا

تَقولُ أَلا أَمسِك عَلَيكَ فَإِنَّني أَرى المالَ عِندَ المُمسِكينَ مُعَبَّدا

ذَريني وَحالي إِنَّ مالَكِ وافِرٌ وَكُلُّ اِمرِئٍ جارٍ عَلى ما تَعَوَّدا

أَعاذِلَ لا آلوكِ إِلّا خَليقَتي فَلا تَجعَلي فَوقي لِسانَكِ مِبرَدا

([1]) ابن جعفر، عامر بن مالك، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، لبنان، بيروت، 2004م، ط1، ص20.

([2]) ديوان حاتم الطائي، ص25.

ذَريني يَكُن مالي لِعِرضِيَ جُنَّةً يَقي المالُ عِرضي قَبلَ أَن يَتَبَدَّدا

أَريني جَواداً ماتَ هَزلاً لَعَلَّني أَرى ما تَرَينَ أَو بَخيلاً مُخَلَّدا

وَإِلّا فَكُفّي بَعضَ لَومِكِ وَاِجعَلي إِلى رَأيِ مَن تَلحَينَ رَأيَكِ مُسنَدا [1]

أَلَم تَعلَمي أَنّي إِذا الضَيفُ نابَني وَعَزَّ القِرى أَقري السَديفَ المُسَرهَدا

ويشير حاتم هنا في قصيدته الى أجمل الأبيات فقال: أقرى السديف المسرهدا، فكان حاتم يذبح الجمل أو الناقة فيأخذ سنامه ويقدمه للضيف وإذا جاء ضيف أخر ذبح جمل أخر وقدم سنامه فقط حيث أن السنام هو أطيب مافي الأبل والسنام هو السديف والمسرهد هو الممتلي باللحم، وكذلك يقول: (أريني جواداً مات هزلاً، لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا) فلا أحد يموت من الجوع وقلة المال ولا أحد يخلده المال فكل يموت ويفنى ولا تبقى إلا السيرة والأمثال يخلدها التاريخ.

وأيضاً الكرم صفة من صفات الجاهلي، وسجية من سجاياه الكريمة التى كان يعتزبها ولا يرضى أن يحيد عنها مهما كان الثمن، فهى تجرى في عروقه كصفاته الأخرى من الشهامة، والإباء وعزة النفس، وإغاثة الملهوف، وقد ورثها عن أبائه وأجداده وهى ميزة من مزاياة الحميدة التى حباه الله بها فهو لا يصطنعها صناعة ولا يتكلفها تكلفاً، إنما تاتيه عفوية خالصة.

وكان للعرب قديماً ناراً يشعلونها في الليل ليهتدي بها من ضل سبيله في الصحراء فيحسنون إليه ويكرمون وفادته ويرشدونه الى ضالته.

أما من لا يكرم الضيف، فهو محتقر في نظرهم، وينظر إليه بإشفاق وكأنه إنسان شاذ فقد أخلاقه وتجرد من صفاته. [2]

([1]) مرجع سابق، ص26.

([2]) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج2، ص229.

وكان منهم من يكرم الضيف إبتغاء مكانة كما انتشرت في بيئته حب الفخر والتباهي بخصال الكرم أكثرها تأثيراً في النفوس، كما كان للحرب والنزاعات المستمرة بين القبائل دور في انتشار الكرم. [1]

إذ أن من أثار الحروب انتشار الفقر والبؤس في البلاد، فقلَّ الغذاء وعزّ الطعام فأحسوا بالجوع يغرس أنيابه في أحشائهم ويكاد يفتك بهم وبخاصة إذا كانو مسافرين أو عابري سبيل فقدروا معنى الإنسانية الحقيقة بتقديم ما يحفظ على الإنسان حياته.

ويفخر لبيد بن ربيعة، بتقديم وجبة الطعام وهو يقدمها في الشتاء حين تشتد الحاجة إلى الطعام لأنه وقت جفاف. نحر إبله تقديمها كوجبة طعام يقول:

وغداةِ ريحٍ قَدْ وزعتُ وَقَرَّةٍ إذ أصْبَحَتْ بيدِ الشَّمالِ زمامُها [2]

يقول: ورب غدأة ريح قد كشفت الجوع بالقرى، والوقرة البرد، وقوله (بيد الشمال) ومعنى القول إجمالاً وفي يوم ثارت فيه الرياح، ريح الشمال (وهى ريح تهب في زمن الشتاء من جهة الشام)، ثارت الرياح العاتية ثورتها وقد حل البرد الشديد بالناس من أثار تلك الرياح الشمالية، فأسرعت الى إبلى أنحرها لهم لأكف بالطعام ما أصاب الناس من جوع أو كففت عاديةُ البرد عن الناس بنحر الجزر لهم.

وقد أكثروا من الإفتخار بالكرم ومن المدح به إذا ماهبت رياح الشمال لأنها لا تهب إلا في الجدب، وفيه قول طرفة:

نحنُ في المَشتاةِ ندعوا الجَفَلى لا ترى الآدِبَ فينَا ينتقِر [3]

([1]) المرجع نفسه، ص31.

([2]) الأنباري، أبوبكر محمد، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، المحقق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، لبنان، 1328هـ، ط5، ص 578.

([3]) التبريزي، يحى بن على، كتاب شرح القصائد العشر، دار المنيرية، 1993م، ط2، ص74.

وفي رواية التبريزي (منا ينتقر) وكذا ورد أيضاً في كتاب الكامل، الجفلى للعامة والنقري الخاصة و الأدب صاحب المأدبة يقال مأدبة للدعوة [1]، أي لا ترى الداعي يدعو بعضاً دون بعض بل يعمم بدعواه في زمان القلة وذلك غاية الكرم.

يقول التبريزي: ويروي (لجيران الشتاء ولجيران العشى) [2]

وهى في كرمهم لا يتخيرون الناس بل يطعمون الفقراء والمساكين ويقدمون لهم لاسيما في وقت الشدة جفاناً مملؤة مرقاً مكللة بكسور اللحم وذلك في الشتاء وضنك المعيشه، يقول لبيد

ويكلّلُونَ إذا الرياحُ تناوحَتْ خُلُجاً تمدُّ شوارعاً أيْتَامُها[3]

والتكليل نضد اللحم بعضه على بعض أى يكللون الجفان باللحم يطعمون به، وتناوحت أي الرياح يقابل بعضها بعضاً وذلك في الشتاء والتناوح والتقابل، ومنه تناوح الجبلين وتناوح الرياح ومنه سميت النساء النوائح لأن بعضهن يقابل بعضاً وكذلك الرياح إذا تقابلت في المهب لأن بعضها يناوح بعضهاً ويناسج فكل ريح استطالت أثراً فهبت عليه ريح طولاً فهى نيحته فإن أعترضته فهى نسيجته.

وأيضاً المقصود من التناوح هنا ليست التقابل المطلق فقط إنما قوة الصوت عند الارتطام، والحجة في ذلك أن تقابل الريح أو الرياح يحدث صوتاً وهو كصوت النواح، وقيل أيضاً: النوح بكاء مع صوت ومنه ناح الحمام نوحاً أي أحدث صوتاً.

وكان العرب يكثرون الكرم في وقت الشتاء أو فصل الشتاء لأن فيه البرد ويسود الجفاف والجوع كذلك يختارون وقتاً معيناً من أيام السنة وهى الليلة العاصفة الباردة كما وضع

([1]) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة و الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ط3، ص21.

([2]) القصائد العشر، ص55.

([3]) الزوزني، حسين بن محمد، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، 1993م، ج2، ط1، ص159.

لها أسماء جاءت في شعرهم منها (ريح الصّبا، وريح الشمال) تقول الخنساء راثية ومفاخرة بأخيها صخر بانه صاحب كرم في قولها:

وَإِنَّ صَخراً لَوالِينا وَسَيِّدُنا وَإِنَّ صَخراً إذا نَشتو لَنَحّارُ

وَإِنَّ صَخراً لَمِقدامٌ إِذا رَكِبوا وَإِنَّ صَخراً إِذا جاعوا لَعَقّارُ [1]

كذلك نجد طرفة بن العبد قد فخر وأشاد بكرم قومه وقت الشدة وفي برد الشتاء حين تأوي الأبل الى مأواها طلباً للدفء حينئذ ينحرون خير الإبل إكراماً للضيف حيث تظل الإماء ساهرات لإعداد الطعام وتقديمه فيقول:

تَبِيتُ إِمَاءُ الحيّ تَطْهى قُدورَنا ويأْوي إِلينا الأَشْعَثُ المُتَجرِّفُ [2]

على قدر الحب والكرم والعطاء، كان العربي الجاهلي يكره الشُح والتقصير والبخل، لذلك جاءت أشعار الشعراء الجاهلين مليئة بالنزعة الإنسانية التى تمثلت في الدعوة إلى الفضيلة والمحافظة على المبأدي الاجتماعية التى تقوم على أسأسها القبيلة في العصر الجاهلى و إغاثة الملهوف وإستنقاذ حياة الضيف هى الرسالة التى آمن بها جميع الشعراء الجاهلين فأخذو يدعون إليها وتأصيلها في المجتمع حتى يحافظوا على الشرف ومكأرم الأخلاق التى تحدث عنها الأزهري قائلاً:(لن تكسب أعزك الله، المحامد وتستوجب الشرف إلا بالحمل على النفس والنهوض بحمل الأثقال وبذل الجهد والمال ولو كانت المكارم تنال بغير مؤنة لاشترك فيها السفل والأحرار وتساهما الوصفاء من ذوي الأخطار ولكن الله خص الكرماء الذين جعلهم أهلها فخف عليهم حملها) [3]

([1]) عمرو، تماضر، ديوان الخنساء تحقيق أبراهيم عوضين، دار صادر، لبنان بيروت، 1963م، ص48.

([2]) العبد، طرفة، ديوان طرفة بن العبد، دار الوفاء بالمنصورة، 2005م، ط1، ص127.

([3]) الهاشمي، أحمد إبراهيم، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، بيروت، ج2.

ومن صنوف الكرم الحفاوة بالضيف أن يتلقاه المضيف ببشر وإيناس ويبسط معه الحديث، وقالوا تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤاكلة قال حاتم:

سلي الجائع الغرثان يا أم منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هَلَ ابسط وجهي إنه أول القِرى وأبذل معروفي له دون منكري [1]

فالجاهلي فطرته بيئته الصحراوية العربية على الكرم فهو كريم يهش على المعروف، ولا يذبح إلا البازل المسن من إبله دلالة على كرمه وجوده، ويحرص في إعجال القرى للضيف ويسرع إلى سيفه الصقيل فينحرناقته دون أن يشد إزراه، دلالة على شدة حرصه في تعجيل القرى، أو من شدة التباهي بالكرم ويحرص على تقديم الطعام والشواء للضيفان بيده زيادة في الأنس والبشاشة. يقول علقمة الفحل:

وأخي محافظة طليق وجهة هش جردت له الشواء بمسعر

من بازل ضربت بأبيض باتر بيدي أغر يجر فضل المنذر [2]

كرم الضيف من الأفعال الحميدة والخلائق الرفيعة والشمائل التى يعتز بها الجاهلى أما إذا أشتد الزمان وعض القحط والجوع القبيلة، فهذا مكان الكرم لذا نجد شعرائهم تنطلق قريحتهم بوصف سجايا الكرم في قبائلهم أو أنفسهم حين يحدثنا علقمة نفسه إذ يقول: أيسر لأُطعم الفقراء والمعروف في عرفهم، أنه ما من أحد ييسر زمن القحط والجوع إلا الكرماء يقول:

وَقَد يَسَرتُ إِذا ما الجوعُ كُلِّفَهُ مُعَقَّبٌ مِن قِداحِ النَبعِ مَقرومُ

لَو يَيسِرونَ بِخَيلٍ قَد يَسَرتُ بِها وَكُلُّ ما يَسرَ الأَقوامُ مَغرومُ. [3]

([1]) ديوان حاتم الطائي ص9.

([2]) علقمة بن عبده بن ناشره، ديوان علقمة الفحل، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1935م، ط1، ص74.

([3]) مرجع سابق، 51.

من خلال العقد الاجتماعي بين الفرد وقبيلته تداخلت الصفات بين الشاعر ومجتمعه وانتقال الفخر من دائرة الفرد ليحسب على الجماعة ومع الأباء تردد صفة الكرم وهى صفة مقدسة في حياة العربي الجاهلي، وهى صفة تردد ذكرها بصورة واسعة في المفضليات وكثير حديث شعرائها يقول عمرو بن الأتهم:

ذَرِيْنِيْ فَإِنَّ الْبُخْلَ يَا أُمَّ هَيْثَمٍ لِصَالِحِ أَخْلاَقِ الرِّجَالِ سَرُوْقُ

ذَرِيْنِيْ وَحُطِّي في هَوَايَ فَإِنَّنِيْ عَلَى الْحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيْعِ شَفِيْقُ

وَإِنِّيْ كَرِيْمٌ ذُوْ عِيَالٍ تَهُمُّنِيْ نَوَائِبُ يُخشى رِزْؤُهَا وَحُقُوقُ [1]

وإذا أردنا أن نحصر العدد في كرماء الجاهلية فهذا يصعب علينا و لكننا أخترنا الفئة المشهورة التى كانت مضرب المثل إلى يومنا هذا وستظل إلى الأبد، وقد ذهب ابن عبد ربه في عقده الفريد إلى أن الذين أنتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاث نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان المري، وكعب بن أمامة الإيادي، ولكن المضروب به المثل حاتم وحده.[2]

وذهب ابن عبد ربه في عقده الفريد إلى ان الذين إنتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر: حاتم ابن عبد الله الطائي، هرم بن سنان، وكعب ابن أمامة الإيابي، ومن خلال ذلك نجد أن الغاية والقصد من موضوع الكرم صار واضح حيث تأكد أن الفخر بالكرم كان يهدف إلى معنى أكبر من مجرد المباهاة والفخر الاجتماعي بل أنه يجلب السعادة للآخرين وإعانة لهم على التغلب على عوامل القحط والهلاك والكرماء كانوا يمثلون الملجأ والملاذ لأولئك الذين ضاقت عليهم الدنيا ورمت بهم إلى صراع عنيف.

([1]) عبد الجبار، سعود محمود، شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهثم، دار الرسالة، بيروت، 1982م، ط2، ص 92.

([2]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1، ص170.

نجد أن الغاية والقصد من موضوع الكرم صار واضحاً حيث تأكد لنا أن الفخر بالكرم كان يهدف إلى معنى أكبر من مجرد المباهات والفخر الإجتماعي، وانه قد انتقل من مجرد خلق يتصف به ذو النفوس العالية، وأصحاب المواهب النفسية المتأصلة، إلى واجب وحق مفروض تحتمه الظروف القاسية وأحوالها السئية، فالكرم سبب لجلب السعادة للأخرين وإعانة لهم على التغلب على عوامل القحط والهلاك، ومحاولة لطرد شبح الفقر الذي كان يسيطر على حياتهم بصورة مفزعة.

والكرماء كانو يمثلون الملجأ والملاذ لاؤلئك الذين ضاقت عليهم الدنيا، ورمت بهم إلى صراع عنيف من أجل البقاء وقد عبّرالشعراء من عطاء ممدوحيهم وموئلهم للأرامل واليتامى في أجمل تعبير ومورد الشاربين ومأوي العفاة والضيفان.

المبحث الثاني

الشجاعة

مفخرة العربي وحياته شجاعته يلبسها وتلبسه سواء كان غنياً أم فقيراً وذلك أن أهل البادية متفردون عن المجتمع بعيدون عن الحماية يعيشون في العراء غير محتمين بأسوار أو جدران أو أبواب، فهم يقومون بالدفاع عن أنفسهم ولا يكلونه إلى سواهم يحملون السلاح دائماً ويتجافون عند الهجوع وهم يعرفون جيداً أن حياتهم أصبح فيها البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو ستنجد بهم صارخ. [1]

وإذا تقصينا حياة العربي منذ طفولته أدركنا أن الشجاعة ولدت معه وأن شب وكبر وهى تتمشى في دمه، كيف لا وقد رُبي في بيئة تتمدح بالبطولة والإقدام وحسن البلاء في حماية الذمار والأخذ بالثأر، وبالصبر على أهوال الحروب وآلامها. فطالما فزع العربي طفلاً على قعقعة السلاح وصيحات المقاتلين، وسمع الحكايات عن المقاتلين وشجاعتهم في القبائل نمت في نفسه وترسخت في نفسه الحروب وحبها.

وكان العربي يُشجّع إلى أن يلقى بنفسه في التهلكة راضياً مختاراً، إذ كان يحمي بذلك المرأة ويصونها من الأسر أو المهانة.

وكثيراً ما كانت النساء تصحب الرجال إلى المعارك لتشجعهم على خوض أهوال الحرب دفاعاً عنهن، وخوفاً من العار الذي يلحقهم لو وقعت في الأسر، قال عمرو بن معد يكرب:

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدَّا

وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى

وَبَدَتْ مَحاسِنهَا الَّتي تَخْفَى وَكانَ الأَمْرُ جِدَّا

نازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَـمْ أَرَ مِنْ نِزَال الْكَبْشِ بُدَّا

([1]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة إبن خلدون، دارالجيل، بيروت، 1408هـ، ص105.

هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْذُرُ إنْ لَقِيتُ بأنْ اشُدَّا

كَمْ مِنْ أخٍ لِي صالِحٍ بَوَّاتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا

مَا إنْ جَزِعْتُ وَلاَ هَلِعْتُ وَلاَ يَرُدُّ بُكايَ زَنْدَا

أَلْبَسْتُهُ أثْوَابَـهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا

أغْنِي غَناءَ الذَّاهِبِينَ أُعَدُّ لِلأَعْدَاءِ عَدَّا[1]

وقد تنوعت مظاهر شجاعتهم فمدحوا الموت في ظلال السيوف وتحت خفق البنود وهجوا الموت على الفراش وسموه الموت حتف الأنوف قال السموأل بن عاديا[2].

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيـل

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل

وقد شاعت الشجاعة في المجتمع الجاهلي، والبيئة لها أثر كبير في ذلك ويوضح لنا ذلك إبن خلدون (إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن ألأسوار و الأبواب، وقد صار لهم البأس خلقاً، والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ) [3]

قال طرفة:

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

أي: (إذا القوم قالوا من فتى يُكفي مهّاما، أويدفع شراً خلت أنني المُراد فلم أكسل في كفاية المهام، ودفع الشر ولم أتبلد فيهما) [4].

([1]) فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار صادر، بيروت، ج1، ص 277.

([2]) عروة بن الورد والسموأل، ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دارلبنان، بيروت، 1964م ص91.

([3]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة إبن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984م، ط5، ص135.

([4]) شرح المعلقات السبع، ص 77.

وأنهم كانو يعلمون فتيانهم ركوب الخيل والكر والفر، والمقارعة بالسيوف والطعن بالرماح والرمي بالقوس يقول عنترة:

في حومةِ الحربِ التى لا تشتكي غَمَرَاتِها الأَبطالُ غيْرَ تَغَمْغُمِ

إذْ يتقُون بي الأسَّنة لم أخمْ عنها ولكني تضايق مُقدَمي

قوله (يتقون بي الأسنة): معناه يجلعونني بينهم وبينها يقال إتقاه بحقه، أي جعله بينهم وبينها. والأسنة جمع سنان، وهو الذي يطعن به. والسنان والمسن هو الحجر الذي تحد به السكاكين وقوله لم أخم، معناه لم أنكل ولم أضعف وقوله (لكني تضأيق مقدمي) معناه ضاق المكان الذي أقدم فيه فصرت في مضيق من الأرض لا أستطيع أن أقدم فرسي فيه) [1]

وقال عمر بن شأس:

لَسْنا نموت على مضاجعنا بالليل، بل أدواؤُنا القتلُ

وقد رأى العرب أن الإقدام لا يدني الأجل وأن الحياة الجديدة بالبقاء إنما هى حياة الفتوة، والمجد والشجاعة فمن العار أن يفر المحارب من لقاء أعدائه لان فراره موت له.

قال الحصين بن حمام: [2]

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ويقول أيضاً في هذا المعنى عنتربن شداد: [3]

بكَرتْ تخوفني الحتوفَ كأنني أَصْبحْتُ عن غَرض الحَتوفِ بِمَعْزِل

فأَجَبْتُهَا إنْ بكأْس المنْهل لا بد ان اسقى بكأس المنهل

([1]) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، ص 357.

([2]) تاريخ الأدب العربي، ص267.

([3]) شداد، عنتر، ديوان عنتر بن شداد، دار الجيل، تحقيق محمد سعيد مولوي، ج1، ص 89.

فاقني حياءك لا أبالكِ واعلمي أني امرؤ سأموتُ إنُ لم أقتل

وأفتخروا بصبرهم عند اللقاء وإن كان لقاء عنيفاً حتى ينتصروا، قال **نهشل بن حري:**

وَيَوْم كَأَن المصطلين بحره وَإِن لم يكن جمر قيام على الْجَمْر

صَبرنَا لَهُ حَتَّى يبوخ وَإِنَّمَا تفرج ايام الكريهة بِالصبرِ [1]

وقد استطابوا الموت في المعارك وعدوه من مفاخرهم وافتخروا بأن الموت يعرفهم ويعرف بيوتهم فيقصدهم دون سواهم كما قال **حارثة بن بدر:**

وشيب راسي واستخف حلومنا رعود المنايا فوقها وبروقها

وإنا لتسحلى المنايا نفوسنا وتترك أخرى مرة ما تذوقها

ويقول **معاوية بن مالك بن جعفر:**

إِنّي امْرُؤٌ منْ عُصْبَةٍ مَشْهورةٍ حُشُدٍ، لَهُمْ مَجدٌ أَشَمُّ تَلِيدُ

أَلْفَوا أَباهُمْ سَيِّداً وأَعانَهُمْ كَرَمٌ وأَعمامٌ لَهُمْ وجُدُودُ

إِذْ كلُّ حَيٍّ نابِتٌ بِأَرُومَةٍ نَبْتَ العِضَاهِ فَمَاجِدٌ وكَسِيدُ

نُعْطِي العَشِيرَةَ حَقَّها وحَقِيقَها فيها، ونَغْفِرُ ذَنْبَها ونَسُودُ

وإِذَا تُحَمِّلُنا العَشِيرَةُ ثِقْلَها قُمْنَا بِهِ، وإِذَا تَعُودُ نَعُودُ [2]

ومن أجل هذا قال معتذراً **عمرو بن معد يكرب** عن سكوته في الدفاع عن قومه بأن قومه لم تنطقه شجاعتهم يفخر ويشيد به:

فلو أنَّ قومي أنطقتْني رماحُهم نَطَقْتُ، ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ [3]

([1]) نهشل، بن حري، الديوان، دار صادر، بيروت، 2011م، ط1،95.

([2]) مرجع سابق، ص65.

([3]) الضبي، محمد بن يعلي بن سالم، المفضليات، دار المعارف، القاهرة، ط6، ج1، شرح أحمد محمد شاكر،ص355.

وكانت القبيلة تعتز بفرسانها وتحتفل بهم فها هو عنترة بفروسيته قد نال الحرية، فالشجاعة أرتبطت كثيراً بالفروسية، أما كلمة الفارس في الجاهلية فقد دلت على نموذج من الرجال ذوي صفات بطولية جسمية وخلقية، ويتميز بمقدرة حربية عالية، والفروسية ظاهرة اجتماعية دعت إليها الحياة الجاهلية، بيئتها وبتكوين أفرادها اجتماعياً وجسمياً ونفسياً. [1]

وقد سُميَّ عنترة لشجاعته بالفارس، هو من العرب المعدودين المشهورين بالنجدة وإغاثة الملهوف ويقال له عنترة الفوراس، قال **عنترة:**

وَمُدَّجِجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَـهُ لا مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلاَ مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ لَـهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ
بِرَحِيبَةِ الفَرْغَيْنِ يَهْدِي جَرْسُهَا باللَّيْلِ مُعْتَسَّ الذِّئَابِ الضُّرَّمِ
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَـهُ لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَـهُ يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِـهِ وَالمِعْصَمِ [2]

فعنترة هو بشجاعته فارس وعدوه مدجج متوارٍ بالسلاح وعدوه يحارب ويقاتل ولا يُمعن هرباً ولايفر بعيداً، وعنترة يسابق عدوه بسيفٍ مصلح مقوم فيصيب قلبه.

ويقول **طرفة بن العبد:**

ولستُ بحَلاّل التِّلاعِ مَخافَةً ولكن متى يَستَرفِدِ القومُ أرفِدِ

التلاع مجاري الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية ويقول أنا لا أحلُ التلاع مخافة حلول الأضياف بي أو غزو الاعداء إياي، ولكن أعين القوم إذا استعانوا بي في قري الأضياف، أو في قتال الاعداء[3].

([1]) الشعراوي، ناهد أحمد السيد، عناصر الإبداع في شعر عنترة بن شداد، ط1، دار المعرفة القاهرة، 2016م، ص129.

([2]) شداد، عنترة، ديوان عنترة بن شداد، تحقيق محمد سعيد، ج1، دار الجيل، بيروت، (د، ت)، ص207 – 2015.

([3]) نافع، محمد مبروك، تاريخ العرب، دار الغد، القاهرة، 1952م، ط3، ص7.

وفخر طرفة لم يكن خارجاً عن الإفتخار بما يحبه المجتمع من خصال لذا نجده هنا تفيض نفسه بشعر الفخر الذاتي الذي يكثر فيه من الإعتزاز بالنفس وبعد ماتحلى به من صفات وأخلاق كان يراها صفة الشاب الشجاع وقوام شخصية الفتى الأبي والكريم[1].

ونجده يصور في فخره المثل العليا للفرد والجماعة في ذلك الوقت مما يدل على أن العربي، هو في جاهليته كان يحب الأخلاق الكريمة والعادات النبيلة ويقدرها أعظم تقدير.

ومن مظاهر الشجاعة ارتباطها بكرم الأصل، وفيه يقول **زهير**:

كِرَامٍ؛ فَلاَ ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ، وَلاَ الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

فلا ذو التبل يدرك تبله لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم (والتبل الثأر والجارم الذى أتى بالجرم وهو الذنب) [2]

يقول: (أنهم لحي كرام لايدرك ذو الوتر وترة عندهم ولايقدر على الانتقام منهم من ظلمهم وجنى عليهم من فتيانهم وحلفائهم وجيرانهم) [3]

ويقول **لبيد** في ذلك:

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنَّهَا جِنُّ البَدِيِّ رواسياً أقدَامُها

أنكرتُ باطلَها وَبُؤْتُ بحقِّها يوماً ولم يَفْخَرْ عليَّ كرامُها [4]

فهو يصف خصومه فيقول: إنهم رجال غلاظ الأعناق كالأسود أي خلقوا خلقة الأسود هدر بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التى بينهم ثم شبههم بجن هذا الموضع في ثيابهم في الخصام والجدال يمدح بذلك خصومه وكلما كان الخصم أقوى كان غالبه أقوى وأشد ويدل ذلك بطريق غير مباشر عل قوتهم وإذا تأملنا قوله: (لم يفخرعلى كرامها)

([1]) ديوان طرفة بن العبد، ص 120.

([2]) شرح القصائد العشرة التبريزي، ص143.

([3]) شرح المعلقات السبع الزوزني، ص 117

([4]) لبيد، عامر بن مالك بن جعفر، ديوان لبيد بن أبي ربيعة، ط1، دار صادر، لبنان، بيروت، 2004م، ص8.

نجد أن معناه أنه تغلب عليهم في الشجاعة وكرم الأصل يقول إبن الأنباري: لم يفخرعليّ كرامها) معناه لم يكن لكرام على الفخر شئ يسبقونني فيه.

ويقول **عنترة بن شداد:**

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم [1]

يقول: فانتظمت برمحي الصلب ثيابه ؛ أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في قلبه، ثم قال ليس الكريم محرماً على الرماح، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الأقدام وقيل أنه كرم أصله لا يخلصه من القتل المقدر له.

أما قوله:

فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم [2]

وفي رواية ابن الأنباري (يتبعن قلة رأسه والمعصم) وقوله (الجزر) جمع جزرة، والجزرة هى الشاة والناقة تذبح وتنحر فيقول: صار للسباع جزرة، ضربة، مثلاً وقوله ينشنه أي يتناولنه بالأكل. [3]

والمعنى فصيرته طعماً، تتناوله السباع وتاكل بنانه ومعصمه، والمقصود من المعصم اليد التى كان يبطش بها فتركها للسباع واستهزاء منه بهذا البطل فهو لم يبتر يده بل تركه للسباع بعد أن أصابه في قلبه، وترى فيه دلالة على أنه تمكن من العدو حتى أنه اختار القلب فضربه فيه وكلمة حسن بنانه فيها إشارة إلى أن البطل كريم الأصل وكان يزهو بنفسه، لأن حسن البنان دليل على عدم كفاحه وكده لفناهُ.

([1]) مرجع سابق، ص207.

([2]) المرجع نفسه، 207.

([3]) شرح القصائد السبع الجاهليات إبن الأنباري، ص348.

ويقول طرفة أن قلة اللحم هى من صفات الشجعان فهو قليل اللحم ؛ لأن كثرة اللحم تعوق الحركة، ولذا مدح العرب الرجل بقلة لحمه لأن ذلك أعون له على لقاء الأبطال، وسرعة إغاثة الملهوف والقدرة على قطع الفلوات، وأيضاً صفة الشجاعة في نظره شدة الحذر كأنه رأس حية في توقده وشده تيقظه، وأيضاً ملازمة الشجاع سيفه لا يفارقه أبداً يقول:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحيّة المتوقد

فآليت لانفك كشحي بطانه لعضب رقيق الشفرتين مهند[1]

ويقول أيضاً:

حسام إذا ماقمت منتصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعضد

أخى ثقة لا ينثني عن ضريبه أذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي

إذا أبتدر القوم السلاح وجدتني منيعاً إذا بلت بقائمة يدي[2]

يقول الألوسي في شجاعة العرب: (وقد خص العرب من الشجاعة في حروبهم والنجدة في مصابرة عدوهم وهم كما قال القائل) [3]

قوم إذا نزل العدو بدارهم تركوه رب صواهل وقيان

وأذا دعوتهم ليوم كريهه سدوا شعاع الشمس بالفرسان

ولكن الواقع عندهم أثبت أن الشجاعة قد يشتهر بها من لم يعترف له بكرم الأصل كعنترة بن شداد، وهو القائل عن شجاعته وسمو وكرم أخلاقه:

إن تغدفي دوني القناع فإنني سمح مخالقتي إذا لمْ أظلم

يقول **عامر بن الطفيل:** [1]

([1]) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم الشمنتري، دار الفكر، ج1، ص406.

([2]) شرح المعلقات السبع، ص 66.

([3]) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد شكري بهجة، دار الكتب العلمية،ج1، ص59.

بني عامر غضوا الملام إليكم وهاتوا فعدوا اليوم فيكم مشاهدي

ولا تكفروا في النائبات بلاءنا إذا عضكم خطب بإحدى الشدائد

وذكر الأمجاد عندهم من دوافع الشجاعة أو الفخر، وذلك عندما يتغنى الشاعر بالبطولة الشخصية، والقبيلة إظهاراً لشرفه وشرف قومه، أو تخليداً لبطولتهم أو اثباتاً لتفوقهم في الناحية الحربية، والاستعداد للخطر، أو بيان عزتهم وقوتهم لكي يرهبون الأخرون أو حباً في الاستمتاع بهذه الأمجاد.

وقد يثير الرغبة في ذكر الأمجاد الحربية، سؤال بعضهم للشاعر عن مجده ومجد قومه فهنا تهيج شاعريته، ويرتل آيات مجدهم الحربي لحناً شعرياً، وقد يكون هذا السؤال مفتعلاً من إيحاء الشاعر لغيرة أن يسألو كقول عنترة بن شداد:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلم

يخبرك من شهد الوقيعة إنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم[2]

أو من خياله هو، عندما تفيض شاعريته، بالفخر بنفسه أو بقومه فيتخيل سائلاً يسأله عن مجدهم الحربي ويتصدى بالرد عليه، يقول عبيد بن الأبرص[3]:

يايها السائل عن مجدنا إنك عن مسعاتنا جاهل

إن كنت لم تأتك أيامنا فاسأل تُنبا أيها السائل

سائل بنا حجراً وأجنادة يوم تولى جمعه الجافل

يوم أتى سعداً على مأقط وجاولت من خلفه كاهل

([1]) الطفيل، بن عامر، ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق محمود عبد الله محمد، دار صادر، بيروت، 1979م، ص 52.

([2]) شداد، عنترة، شرح ديوان عنترة بن شداد، المحقق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت،1992م، ط1، ص71.

([3]) الأبرص، بن عبيد، ديوان عبيد بن الأبرص، المحقق حسين نصار، دار الكتاب العربي، 1994م، ط1، ص94.

قومي بنو دودان أهل النهى يوماً إذا أُلُقحت الحائل

كم فيهم من سيد أيد ذى نفحات قائل فاعل

الشجاعة أو الفخر بما تقدم تشمل التغنى بما في البطل أو قومه من جُراة وإقدام فهو لا يخاف من أشد المواقف ولا يحتمي بغير السلاح ويشهد الغارات والحروب المملوءة بالأبطال والخيل الجياد والأسلحة.

ومن صور الشجاعة الإقدام على القتال في حب الموت لذات الموت، فليس القتال في ذلك عاراً عندهم، فهم يموتون في ميدان القتال وعلى حد السيف.

إنها شاعرية المجابهة والمواجهة والإرادة الحُرة، شاعرية كم نحن بحاجة إلى أن تصل اسماعنا ووجداننا ؟

وليس الغرض من الشهادة للعدو بالشجاعة أن يتخذها الشاعر سلماً للفخار المضاعف بأنهم هزموا الشجعان فحسب وإنما شهادة منبعثة عن إعجاب بالشجاعة وتقدير الشجعان وانصاف حتى ولو كانو من الاعداء.

وقد أصبحت الشجاعة عند العرب مضرب الأمثال في العالمين، ولقد كان العربي في الجاهلية يسترخص أغلى ما يملك، وهو حياته في سبيل حريته وفي سبيل الحفاظ على حرمته وكرامته

وسارع العرب الى النيل من حاول النيل منهم بالقول أو الفعل ثم تشعل نار الحرب فتأكل الأخضر واليابس، وتلك هى الحياة التى علمتهم الشجاعة والنصر والصبر على القتال، إذا كان صبيانهم يشبون في بيئات ملأت صدور أهلها الأحقاد وتخضبت جنبات أرضها بالدماء فلا يسمعون إلا صهيل الخيول وصليل السيوف في ميادين الوغى.

ولا يرون إلا الثأر لآبائهم وإخوانهم وعشيرتهم، ولذلك كانت الشجاعة أهم مايتصف به ويتميز به العربي وكما كانت نجدة المستنجد بهم ضريبة عليهم لانهم في كثير من الأحيان

ينظرون إلى الاستنجاد بغيرهم ليعينوهم على دمائهم التى يردون الثأر وحقوقهم التي يعملون على إستخلاصها من أيدي أعدائهم.

وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نجد أن الشجاعة تحتل مكاناً بارزاً فيه فهو ملئ بالحديث عن الحرب في المجتمع الجاهلي، ووصف السلاح وأدوات القتال، والحديث عن الحرب في حقيقته وصف للبطولة التى حصلوها في لقاء الأبطال، والصبر على تلك المشاق التى تُلازم الطعن و النزال.

يتعمد العرب في الجاهلية الى خلق الحروب لاظهار الشجاعة التى كانت تجري في دمائهم وربما كان العناد المتولد عند الشجاعة الذى أودى بحياة الألوف من العرب في الجاهلية هو الذي عطل نهضة الجزيرة العربية، وعاق تقدمها المادي قبل الإسلام وصرف الناس عن العمل الجاد الذي يحصلون منه على أرزاقهم وينهض بهم الى مستوى أفضل مما كانوا عليه، تلك هى الشجاعة والصبر في المجتمع الجاهلي تمثل قيمة خلقية إنسانية عاش على تقديسها عرب العصر الجاهلي ثم أقرها الإسلام بعد ذلك.

المبحث الثالث

الوفاء بالوعد

من أنبل الشمائل الإنسانية أن يكون الإنسان وفياً بوعده، باراً بما أخذ على عاتقه، ولو كلفه ذلك مشقة وعناء، فقد حضّت آيات الكتاب المبين على الوفاء بالعهد، كقوله سبحانه تعالى:(بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [1]، (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ) [2] فهم أولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، فمن عجيب الأمور أن نجد بين شعراء الجاهليه من يخُطط لسلامة المجتمع الإنساني بالوفاء بالعهود، وينمي في أبناء ذلك العصر تلك الفضيلة ؛ لأنها انتصار للإنسان على نفسه بعد صراع مرير يتجاذب طرفيه عاملان هما الخير في الإنجاز والشر في الخلف والغدر، فمن استطاع أن يغلّب الجانب الأول فهو البطل الحري بالإكبار.

وكان العرب في جاهليتهم لا يقدرون شيئاً كما يقدرون الوفاء، فإذا وعد أحدهم وعداً أوفى به وأوفت معه قبيلته حتى ولو كلفه ذلك أعز مايملك من متاع الدنيا. [3]

وقد تسابق الشعراء في هذا الميدان، فجاء الأعشى يحض على الوفاء بالعهد وأداء الأمانة حتى ولو كلفه ذلك حياته، فيكفي أن يخلد ذكره بين الناس ليقال وعد فأوفى، فهتف بنصائحه الغالية **قائلاً:**

ولاتعدنّ الناس مالست منجزاً ولا تشتمن جاراً لطيفاً مصافياً

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة فأوف بها إن مُت سُميت وافياً [4]

ويؤكد هذا المعنى نفسه في مناسبة ثانية عن نفسه **يقول:**

([1]) سورة أل عمران، الأية 76.

([2]) سورة البقرة، الآية 177.

([3]) العصر الجاهلي، ص69.

([4]) سقا، مصطفى، مختار الشعر الجاهلي، دار صادر الحلبي، القاهرة، 1948م، 1959م، ص302.

وإني إذا ما قلت قولاً فعلته ولست بمخلاف لقولي مبدل

أما عامر بن الطفيل فيُعطي لنا صورة الإنسان قوي الإرادة البطل الحقيقي الذي أصدر وعيداً نحو غيره ربما يتناساه، ولا يقدم عليه ؛ لأن فيه الضرر والهلاك له أو للموعود.

أما إذا وعد فلا بد أن يكون حريصاً على الوفاء بوعده لما فيه من خير وعلو مكانة بين الناس جميعاً **فيقول:** [1]

وإني إن أوعدته أو واعدته لأخلف ميعادي وأنجز موعدي

ويأتي دورزهير بن أبى سلمى داعية السلام ليحض الناس على الوفاء بالعهد ويبصرهم بأن مكنون صدورالقوم من خلق دفينة لأبد ظاهرة للعيان في يوم من الأيام، وإن طال عليها الزمن أو خُفيت عن الناس أحياناً، فكمال المرء أن يكون واضحاً، ظاهره كباطنه، وبطولته أن يفي بما وعد دون حاجة إلى كذب أو اختلاق الأعذار، وأُجدر أن يكون سرالمرء وديعة عند من طابت سريرته وحملت خصاله وحمدت بين الناس أفعاله، فقال مرشداً للناس: [2]

ومهما تَكُن عندَ امرِئٍ مِن خَليقةٍ وإن خالَها تَخفى على الناس تعلم

وَمَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البر لا يتجمجم

وقال **عمرو بن شأس الأسدي:** [3]

وواعدتني مالا تريد إنجازه مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

الوفاء من أخلاق الجاهلي الفاضلة لاحد له ولا يشوبه خلف مهما كانت عواقبه وقد يقود الوفاء بالعهد صاحبه إلى بعث حرب حقيقة وبذل النفس والنفيس من أجل المحافظة على عهد أعطاه إلى المستجيرأو أمانة أؤتمن عليها من ذوي القربى والبعيد على السواء.[1]

([1]) الطفيل، عامر، ديوان عامر بن الطفيل، المحقق محمود عبد الله محمد، دار صادر، بيروت 1959م، ص58.

([2]) مختار الشعر العربي الجاهلي، ص224.

([3]) شأس، عمرو، شعر عمرو بن شأس الأسدي، المحقق، يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط2، 1983م، ص82.

وكان العرب يحرصون على المثل العالية والخصال النبيلة ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها ومن تلك الخصال حفظ الجوار والوفاء بالعهد فهم يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم وهذا ماعرف به المجتمع في العصر الجاهلي. على جاهليته فضائل بلغت الغاية في السمو والنبالة وهذه الفضائل تشكل رابط إنساني وتمثل الاستقرار الاجتماعي كالوفاء وحماية الجار وهذه الفضائل مرتبطة بطبيعة الحياة البدوية ففى البداوة مخاطرتخيف الضعف فتلجأه إلى القوى القادر على حمايته، وفي مثل هذا الموقف تفوق الكلمة الحازمة التي يقطعها الشاعر على نفسه معاهدة بين دولتين. [2]

لجأ إلى الشاعر أبي حنبل الطائر رجل أسمه السيار ففتح له الشاعر قلبه وداره وبسط عليه جواره فأمن سيار بعد خوف وأستقر بعد تنقل ففخر **الطائي** بذلك وقال:

لقد بلاني على ماكان من حدث عند اختلاف زجاج القوم سيار

قد كان سيد فخلوا عن حمولتكم إنى لكلّ امرئ من جاره جار

بل بولغ في حمايتهم للجارواللاجئ حتى قالوا إن مدلج ابن سويد الطائي خلا يوماً في خيمته[3] فإذا بقوم من طي ومعهم أوعيتهم فقال: ماخطبكم؟ قالوا: جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه، فركب فرسه وأخذ رمحه وقال: والله لا يعرضن له أحد منكم إلا قتلته، إنكم رايتموه في جواري ثم تريدون أخذه فلم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس، وطار فقال: شأنكم فقد تحول عن جواري وضربو به المثل فقالوا: أحمي من مجير الجراد، ويقال إن المجير كان حارثة بن مر الطائي أبا حنبل وفيه يقول **شاعر طي:**

ومنَّا ابنُ مُرٍّ أبو حَنْبَل أجار من الناس رَجْلَ الْجَرَادْ.

([1]) درّاقي، زبير، المفيد في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات، الجزائر،1994م، ط1، ص21.

([2]) طليمات، غازي، الأدب الجاهلي، قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، دار الفكر، ص160.

([3]) الأدب الجاهلي، غازي طليمات، ص 84 – 180.

وزَيْدٌ لنا، وَلَنَا حاتِمٌ غِياث الْوَرَى في السِّنِينَ الشِّدَادْ.

وقال **ربيعة بن مقروم** [1] وهو من شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام:

وإِنْ تَسْئَلِيني فإِنّي امْرُؤٌ أُهِينُ اللئِيمَ وأَحْبُو الكَرِيمَا

وأَبْنِي المَعَالِيَ بِالمَكْرُماتِ وأُرْضِي الخَلِيلَ وأُرْوِي النَّدِيمَا

ويَحْمَدُ بَذْلِي لهُ مُعْتَفٍ إِذَا ذَمَّ مَنْ يَعتَفِيهِ اللَّئيمَا

وأَجْزِى القُرُوضَ وَفاءً بها بِبُؤسَى بَئِيسَى ونُعْمَى نَعِيما

فملخص لما أراده من رسالة لمن خاطبها: إن أردت معرفة طبيعتي وأخلاقي وسلوكي فأنا إنسان فيه الصفات الطيبة الكريمة من المروءة والشرف والشهامة، أحتقر كل خبيث سيئ الخلق معدوم الضمير وأذله وأرفع الشريف العظيم صاحب الخلق الكريم.

إني في مكانة عالية ودرجة رفعية في المجتمع بما أقوم به من جلائل الأعمال وكل مافيه خير ونفع للجميع كما أبذل كل ما استطيع فيما يبشر الصاحب ويسعد الصديق وأسد حاجة الفقراء والمحتأجين وأفيض عليهم بالعطاء حتى يشعروا بالراحة والاطئمنان ومن يشاركني في المجلس أغمره بكل بهجة ومتعة.

وأفيض بالجود والسخاء على الحاجةِ بدون أن يسألوني ولا أكلفهم إراقة ماء الوجه بطلب مايحتاجون لأشعرهم بالعزة والكرامة وهذه عادتى وطبيعتي وبخاصة حينما ينتشر القحط وتشتد الحاجة ويغضب المحتاجون ويذمون اللئام.

وقال **ثابت قطنة الأزدي:**

دهاني رجالٌ لم أكن خفتُ منهم وخلان غدرٍ شايعوا من دهانيا [2].

([1]) الجندي، علي، عيون الشعر العربي القديم، دار غريب، القاهرة، ج3، ص220.

([2]) الزركلي، الاعلام، ص98.

وكانت لهم تفانيات تذكرهم بالوفاء، فقد كانو يتعاقدون في المحالفات على الدم، والرب، والماء، والطيب، ويتمسحون بالكعبة، يريدون توكيد الحلف ومصاحبته بعمل يذكر بالوفاء وكانوا يعدون الغدر معرة تتجافى عنه نفوسهم، فإذا ماغدر أحدهم رفعوا له لواء بسوق عكاظ يشهروا به.

وافتخر **عوف بن الأحوص** بأنهم ملوك ولكنهم لا يتكبرون على الناس فيحييهم الناس بتحية العامة ثم إنهم يوفون بأيمانهم ونذورهم:

مُلُوكٌ عَلى أَنَّ التَّحِيَّةَ سُوقَةٌ أَلايَاهُمُ يُوفَى بِهَا ونُذُورُها [1]

وأيضاً من ضرب بهم المثل في الوفاء قوس بن حاجب بن زرارة والمجتمع الجاهلي ملي بالنقائض من غدر ووفاء وأجملها الإنسانيات التى فطر الله عليها المجتمع الجاهلي ولايخلو من غدر ونقض العهد، فقد وجد فيهم هذا وذاك فإلى جانب الأوفياء لابد من الغادرين وإلى جانب المتمسكين بعهودهم و مواثيقهم لابد من الخائنين تلك سنة الحياة وطبيعة المجتمعات البشرية في كل أزمنتها وأمكنتها.

ومن يضرب به المثل في الوفاء فهو السموأل بن عادياء وإذا ذكر الوفاء إقترن اسمه للسموءل حصن يقال له الأبلق، تسلم السموأل أمانة من امري القيس على أن يحافظ عليها ويرجعها إليه بعد رجوعه من سفره، دارت الأيام وقتل امرؤ القيس وجاءت جموع إلى امرئ القيس تطلب تسليم أمانة لهم وإلا قتلو ابنه، فما كان منه إلا الرفض وفضل الوفاء ومقتل ابنه على خيانة الأمانة، واحتفظ بالأمانة حتى سلمها لأهل امري القيس.

هذه القصة وكثير غيرها في العربي تظهر قيمة عظيمة من قيم الأخلاق العالية، ألا و هى الوفاء بالعهد والالتزام بالميثاق ولو كانت عواقب الوفاء أليمة.

([1]) الحماسة، ص 102، الإياهم: اليمين.

الفصل الثاني

دارسة تحليلة لنماذج شعرية من هذه القيم الانسانية في العصر الجاهلي

المبحث الأول: الكرم في الشعر الجاهلي

المبحث الثاني: الشجاعة في الشعر الجاهلي

المبحث الثالث: الوفاء بالوعد في الشعر الجاهلي

المبحث الأول

الكرم في الشعر الجاهلي

وعاذلة هبت بليل تلومني

(لحاتم الطائي)

وَعاذِلَةٍ هَبَّت بِلَيلٍ تَلومُني وَقَد غابَ عَيّوقُ الثُرَيّا فَعَرَّدا

تَلومُ عَلى إِعطائِيَ المالَ ضِلَّةً إِذا ضَنَّ بِالمالِ البَخيلُ وَصَرَّدا

تَقولُ أَلا أَمسِك عَلَيكَ فَإِنَّني أَرى المالَ عِندَ المُمسِكينَ مُعَبَّدا

ذَريني وَحالي إِنَّ مالَكِ وافِرٌ وَكُلُّ اِمرِئٍ جارٍ عَلى ما تَعَوَّدا

أَعاذِلَ لا آلوكِ إِلّا خَليقَتي فَلا تَجعَلي فَوقي لِسانَكِ مِبرَدا

ذَريني يَكُن مالي لِعِرضِيَ جُنَّةً يَقي المالُ عِرضي قَبلَ أَن يَتَبَدَّدا

أَريني جَواداً ماتَ هَزلاً لَعَلَّني أَرى ما تَرَينَ أَو بَخيلاً مُخَلَّدا

وَإِلّا فَكُفّي بَعضَ لَومِكِ وَاِجعَلي إِلى رَأيِ مَن تَلحَينَ رَأيَكِ مُسنَدا

يَقولونَ لي أَهلَكتَ مالَكَ فَاِقتَصِد وَما كُنتُ لَولا ما تَقولونَ سَيِّدا[1]

في هدأت الليل وقد غارت النجوم ونامت العيون. هبت صاحبته من نومها لأمر ما يقُلقها، وشأن يشُغلها طالما كان مصدر قلقٍ حتى أعياها وغضّ مضجها، ألا هو كرم زوجها وإتلافه لماله في وقتٍ يضن الكثير منهم بماله حفاظاً عليه، وينتقل الشاعر من الجدل غير المباشر إلى حوار مباشر بما دار بينهما فهى تقول له: ألا أمسك عليك اي أحرص على مالك ولا تفرط في العطاء.

ثم يرد عليها بذلك القول الذي يتكرر كثراً عند الشعراء الجاهليين عند رفضهم ما تدعوهم إليه المرأة فيقول: ذريني وحالي.....، فلك من المال ما يكفيك وزيادة وجاءت جملة (وكل امرئٍ

([1]) مرجع سابق، ص 26.

جارٍ على ما تعودا) تعميقاً لهذا المعنى وكشفاً عن أن كرمه طبع أصيل في نفسه لا يستطيع أن يغيره.

ثم يخاطبها مستخدماً الهمزة كأداة لنداء القريب، مرخماً للمنادى وكأنه يريد أن يقربها لتبتعد عن عزله ولومه، وهو يقرر أنه لن يترك مسلكه (كرمه) الذي نشأ عليه وأصبح طبعاً من شمائله وجاء مؤكداً لذلك الأمر بالنهي (فلا تجعلي فوقي لسانك مبردا) وفي ذلك تجسيد لأثر العذل واللوم الذي يأكل من نفس الشاعر وجسمه كما يأكل المبرد من الخشب أو الحديد.

ويعود مرة أخرى لفعل الأمر (ذريني) وكأنه شعر أنها مازالت على عذلها فأمرها أن تتركه معللاً لهذا الأمر:

ذريني يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل أن يتبددا

وينتقل نقلة نوعية من المحاجاة تعميقاً لرأيه ودحضاً لدعوتها له بالكف عن الإسراف في الكرم، فيقول متسالاً: أريني جواداً مات هزلاً لعلّني أرى ما ترين. يتضمن الأمر (ذريني) و(أريني) إستبعاداً لما تطلبه منه وتعجيزاً لها.

ثم يؤكد هذا الإدعاء بحجة أقوى فيعطف على ذلك بقوله: (أو بخيلاً مخلّدا) وهو حين يصل إلى هذا التعجيز يرى أنها قد أوشكت على الاقتناع والتسليم فيطلب منها أن تكف عن لومها وأن تجعل رأيها سنداً لرأيه، ويستخدم إن الشرطية التي تدل على الشك فيقول:

وإلا فكفي بعض لومك وأجعلي إلى رأي من تلحين رأيك مسندا

والمعنى وإن لا تفعلي فكفي..... واجعلي.....

وحين يصل الى ذلك يبدأ في سرد مآثره، وينتقل هنا إلى جدل بينه وبين بعض اللائمين الذين يلومونه ويقولون أهلكت مالك فاقتصد. فيرد بقوله: لولا هذا الكرم الذي تلومنني عليه لما أصبحت سيداً فيكم.

وهذا يعكس شعوراً بين حاتم الطائي وبينهم. والعذل هنا صورة من صور الإحساس بالغيرة على الرغم من أن حاتم قد استخدم الفعل (يقولون) معبراً عن لومهم وعذلهم في الوقت الذي يستخدم العذل واللوم للتعبير عن درجة أقل من اللوم عند زوجته قد تصل إلى العتاب.

وهذا يعكس نوعاً من الفطنة في استخدام الألفاظ في المواقف المتشابهة، فزعامة حاتم وسيادته توجب عليه انتقاء الألفاظ حين يتحدث إلى العشيرة ولا يُستبعد أن تكون العاذلة رمزاً لهؤلاء اللائمين، فالانتقال من العاذلة إلى هؤلاء انتقالاً يلقي تساؤلاً، فاستخدام ضمير الجمع في البيت الأخير يؤكد أن اللائمين كثيرون وليس حصراً على زوجته فقط، بل إن سيرة حاتم نفسه تؤكد إن المحيطين بحاتم كانوا يحرضون نساءه عليه متخذين من إفراطه في الكرم وسيلة لذلك.

وإذا تأملنا التشكيل اللغوي نجد أنه يعكس تجربة شعرية ناضجة، ويعكس رؤية شعرية واعية، وقد تم التناسب بين المحتوى والتشكيل الشعري.

وقد استخدم الشاعر الأمر والنهي ووظفهما لتصوير الموقف (ألا أمسك عليك) و (ذريني وحالي) و (فلا تجعلي فوقي لسانك)، ذريني أريني، فكفي... وأجعلي، فأقتصد.

كما استخدم الافعال استخداماً أشاع في الأبيات حركة واضحة، وتسير تلك الحركة من خلال إستخدامه للأفعال المضارعة والماضية.

(هبت بليل، تلومني، غاب، فعردا، تلوم، ضّن، صرّدا، تقول، أمسك، أرى، ذريني، تعودا، تجعلي، أريني، كفي، واجعلي، تلُحين، يقولون، أهلكت، فاقتصد).

ولا شك أن هذا التكثيف في استخدام الأفعال يجسد الموقف ويبعده عن الرتابة، ويقربه من الواقع قرباً يؤكد صدق التجربة الواقعي والفني.

التعريف بالشاعر:-

هو حاتم الطائي بن عبد الله، بن سعد، بن آل فاضل، بن امرئ القيس، بن عدي، بن أخزم، بن أبي أخزم، هزومة بن الربيعة، بن جرول بن ثعل، بن عمرو الغوث، ويكنى أبا سفانة وأبا عدي وهو من قبيلة طيء وأمه عتبة بنت عفيف بن عروة بن أخزم، و كانت ذات يسر وسخاء، حجز عليها أخواتها ومنعوها مالها خوفاً من التبذير، نشأ ابنها حاتم على غرارها بالجود والكرم ويعتبر أشهر العرب بالكرم والشهامة، ويعد مضرب المثل بالجود والكرم.

اقترن الكرم والجود والسخاء بحاتم الطائي ويظهر ذلك جلياً عند نقاشه مع والده عندما قدّم لضيوفه كل الإبل التي كان يرعاها وهو يجهل هويتهم، وعندما عرفهم كانو شعراء ثلاثة عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، و النابغة الذبياني، وكانت وجهتهم النعمان فسألوه القري (أي الطعام الذي يقدم للضيف) فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عبيد: إنما أردنا بالقري اللبن وكانت تكفينا بكرة، إذا كنت لابد متكلفاً شيئاً.

فقال حاتم: قد عرفت ولكني رأيت وجووهاً وألواناً مختلفة فظننت أن البلدان غير واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكرو فضله فقال: أردت أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل عليّ وأنا أعاهد أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقوموا لها فتقسموها ففعلوا فأصاب الرجل منهم تسعة وثلاثين ومضو إلى النعمان، وإن أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال له: أين الإبل ؟ فقال حاتم: يا أبت طوقتك بها طوقك بها طوق الحمامة مجد الدهر وكرماً، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أُثني به عليه عوضاً عن إبلك فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلت ذلك ؟ قال: نعم قال: والله لا أساكنك ابداً فخرج أبوه بأهله وترك حاتم ومعه جاريته وفرسه.

المبحث الثاني

الشجاعة في الشعر الجاهلي

نموذج من معلقة عنترة بن شداد [1]

إنْ تُغْدِفِي[2] دُونِي القِنَاعَ فَإِنَّنِي طَبٌّ بأَخْذِ الفارِسِ الْمُسْتَلْئِمِ

يقول الشاعر مخاطباً عشيقته: إن ترخي وترسلي دوني القناع،أي تستتري عني، فإني حاذق بأخذ الفرسان الدارعين، أي لا ينبغي لك أن تزهدي في مع نجدتي وبأسي وقيل بل معناه إذا كنت لم أعجز عنّ صيد الفرسان الدارعين فكيف أعجز عن صيد أمثالك ؟

أثنِي عَليّ بِما عَلِمتِ فَإنّنِي سَمحٌ مُخالَقَتي إذا لَم أُظلَمِ

فَإذَا ظُلِمتُ فَإنّ ظُلمِيَ باسِلٌ مُرٌّ مَذاقَتُهُ كَطَعمِ العَلقَمِ

يقول: أثني عليّ أيتها الحبيبة بما علمت من محامدي ومناقبي فأني سهل المخالطة إذا لم يهضم ولم يبخس حظي لا يرضى الظلم ويقول: وإذا ظلمت وجدت ظلمي كريهاً مراً كطعم العلقم، أي من ظلمني عاقبته عقاباً بالغاً يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه.

ولقد شربت من المدامة [3] بعدما ركد الهواجر[4] بالمشوفِ المعلم

يقول: ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حرّ الهواجر وسكونه بالدينار المجلو المنقوش يريد أنه أشترى الخمر فشربها، والعرب تفتخر بشرب الخمر والقمار، لأنها من دلائل الجود عندها.

قوله بالمشوف، أي الدينار، فحذف الموصوف ومنهم من جعله صفة القدح وقال: أراد بالقدح المشوف.

بِزُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ [1] قُرِنَتْ بِأَزْهَر في الشَّمالِ مُقَدَّمِ

([1]) شداد، عنتر بن، ديوان عنترين شداد، دار صادر لبنان، بيروت، ط1، ص 143.

([2]) يعني الإغداق ومعناها الأرخاء. طب: حاذق عالم. استلام: ليس اللامة.

([3]) المدام والمدامة: الخمر، سميت بها لأنها أدميت في دنها.

([4]) ركد: سكن. الهواجر: جمع الهاجرة وهي اشد الاوقات حراً. المشوف: المجلو.

فإِذَا شَرَبْتُ فإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالي وعِرْضي وافِرٌ لَم يُكلَمِ

يقول: شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بإبريق أبيض مسدود الرأس بالفدام لأصب الخمر من الإبريق في الزجاجة فإذا شربتها فإنني أهلك مالي بجودي ولا أشين عرضي، فاكون تام العِرض مهلك المال لا يكلم عرضي عيب عائب، يفتخر بأن سكره يحمله على مكارم ومحامد الأخلاق ويكفه عن المثالب.

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصّرُ عن نَدَىً وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمكو فَرِيصَتُهُ كشدق الأعلم

يقول وإذا صحوت من سكري لم أقصر عن جودي، أي يفارقني السكر ولا يفارقني الجود ثم يقول: وأخلاقي وتكرمي كما علمت أيتها الحبيبة، أفتخر بالجود و وفور العقل إذا لم ينقص السكر عقله. وهذان البيتان قد حكم الرواة تقدمهما في بابهما.

يقول: ورب زوج امراة بارعة الجمال مستغنية بجمالها عن التزين قتلته وألقيته على الأرض، وكانت فريصته تمكو الضباب الدم منها كشدق الأعلم، قال أكثرهم: شبه سعة الطعن بسعة شدق الأعلم، وقال بعضهم: بل شبه صوت إنصاب الدم بصوت خروج النفس من شدق الأعلم[2].

سبقت يداي له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم

هلاّ سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يقول: طعنته طعنة في عجلة ترش دماً من طعنة نافذة تحكي لون الدم أو العندم.

([1]) الأسرة: جمع السر و السرر، وهما الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرهما، وتجمع أيضاً على الاسرار ثم تجمع على أسارير. بأزهر أي بإبريق أزهر. مفدم مسدود الرأس من الفدام.

([2]) الأعلم: هو البعير.

فيخبرها متسآئلاً مكنياً لها (بابنة مالك) في دلالة واضحة لمكانتها في نفسه ومقدارتقديره وحبه لها، ويطلب منها أن تسأل عنه الفرسان فيخبرها من شهد المعركة أنه يتحلى بصفتين: الإقدام في الحرب، والعفاف عند الغنائم، وما انبلها من صفات.

إذا لا ازال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم

طوراً يجرد للطعان وتارة يأوي الى حصد القسي عرمرم

يقول: هلا سألت الفرسان عن حالي إذ لم أزل على سرج فرس سابح تناوب الأبطال في جرحه، أي جرحه كل منهم، ونهد من صفات السابح وهو الضخم.

ويجرده من صف الأعداء وضربهم وأن ضم مرةً إلى قوم محكمي القسي، كثير، يقول: مرة أحمل عليه على الأعداء فأحسن بلائي وأنكى فيهم أبلغ نكاية، ومرة أنضم الى قوم أحكمت قسيهم وكثر عددهم، أراد أنهم رماة مع كثرة عددهم العرمرم: الكثير. حصد الشئ حصداً إذا استحكم، والأحصاد الأحكام.

فوددتُ تقبيل السيوفِ لأنها لمعت كبارق ثغركِ المتبسِّم

ومدَّججٍ كرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لا مُمْعنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسلم

جادتْ له كفي بعاجل طعنةٍ بمثَّقفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّم

ولا ينسى في غمرة القتال قعقعة السيوف، وقد أرعدت الحرب بصواعق الموت أن يستحضر صورتها، وخصوصاً فمها الذي تماهى مع السيوف، ألقاً، وضياءً وهى تتراى له يحاول أن يروح عن نفسه في لحظة تجمع بين الحب والحرب معاً، وهذا مشهد دأب عليه الشاعر، طول حديثه عن جو المعركة فمن أجل الحبيبة يقاتل، ومن أجلها يحمي الديار، ومن أجلها يذكر شمائله.

يقول: ورب رجل تام السلاح كانت الأبطال تكره نزاله وقتاله لفرط بأسه وصدق مراسه، لا يسرع في الهرب إذا اشتد بأس عدوه، ولا يستكين له إذا صدق مراسه وهذا الفارس جادت يدي له

بطعنة عاجلة برمح مقوم صلب الكعوب، والبيت جواب ربّ المضمر بعد الواو في: ومدجج.

قوله: بعاجل طعنة، قدم الصفة على الموصوف ثم أضافها إليه، تقديره: بطعنة عاجلة.

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم

فانتظمت برمحي الصلب ثيابه، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها، ثم قال: ليس الكريم محرماً على الرماح ، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام، وقيل: بل معناه أن كرمه لا يخلصه من القتل المقدر له.

فصيرته طعماً للسباع، ثم قال: تناولته السباع وتأكل بمقدم أسنانها بنانه الحسن ومعصمه الحسن، ويريد أن قتله جعله عرضة للسباع حتى تناولته وأكلته.

ومشكّ سابغة هتكت فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلم

لما راني قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسم

وربّ مشك درع، أي رب موضع انتظام درع واسعة، شققت أوساطها بالسيف عن رجل حام كما يجب عليه حفظه، شاهراً نفسه في حومة الحرب أو مشاراً إليه فيها، يريد أنه هتك مثل هذه الدرع و هذا الشجاع، فكيف الظن بغيره.

حتى إذا رأني هذا الرجل نزلت عن فرسي أريد قتله كشر عن أسنانه غير متبسم، أي لفرط كلوحة من كراهيه الموت قلصت شفتاه عن أسنانه، وليس ذلك لتكلم ولا لتبسم ولكن من شدة الخوف والرعب.

فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديدة مخذم

عهدي به مد النهار كأنما خضب البنان وراسه بالعظلم

طعنته برمحي حين ألقيته من ظهر فرسه ثم علوته مع سيف مهند صافي الحديد سريع القطع ورايته طول النهار وامتداد قامته بعد قتلي إياه وجفاف الدم عليه كأن بنانه ورأسه مخضوبان بهذا النبت.(العظلم).

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتـوأم

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

هو بطل مديد القد كأن ثيابه ألبست شجرة عظيمة من طول قامته واستواء خلقه، تجعل جلود البقر المدبوغة بالقرض نعالاً له، أي تستوعب رجلاه السبت، ولم تحمل أمه معه غيره، بالغ في وصفه بالشدة والقوة بإمتداد قامته وعظم أعضائه وتمام غذائه عند أرضاعه إذ كان فذاً غير توأم.

ما: صلة زائدة. الشاة: كناية عن المرأة.

يقول: ياهؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها، فإنها قد حازت أتم الجمال، والمعنى: هى حسناء جميلة مقنع لمن كلف بها شغف بحبها، ولكنها حرمت عليّ و ليتها لم تحرم عليّ، أي ليت أبي لم يتزوجها حتى كان يحل لي تزوجها، وقيل: أراد بذلك أنها حرمت عليه بإشتباك الحرب بين قبيلتيهما ثم تمنى بقاء الصلح.

إذْ يتقُون بي الأسَّنة لم أخمْ عنها ولكني تضايق مُقدَمي

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعهُم يتذَامرونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مذَمّم

يدعون عنترَ والرِّماحُ كأنها أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهم

يقول: حين جعلني أصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم، أي قدموني وجعلوني في نحور أعدائهم، لم أجبن عن أسنتهم ولم أتأخر، ولكن قد تضايق موضع أقدامي، فتعذر التقدم فتأخرت لذلك، وهذه معركة حامية الوطيس شديدة الوقع على الشاعر، إذ كان مخاض للأعداء يحض بعضهم بعضاً على قتاله عطفت عليهم لقتالهم غيرمذمم وتنهال عليه الرماح من كل جانب وهو

على صهوة جواده الأدهم، وفي حال إصابة رماح الأعداء صدر فرسي ودخولها فيه، ثم شبهها في طولها بالحبال التى يستقي بها من الآبار.

مَا زِلْتُ أَرْمِيهُمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكانَ لَوْ عَلِمْ الكَلامَ مُكَلِّمِي

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

يقول: لم أزل أرمي الأعداء بنحر فرسي حتى جرح وتلطخ بالدم وصار له بمنزلة السربال، أي عم جسده فمال فرسى مما أصابت رماح الأعداء صدره ووقوعها به وشكا إلى بعبرته وحمحمته، أي نظر إلى و حمحم لأرق له ويعاني الأدهم من فروسية صاحبه حتى صار هدفاً، للأعداء مثل صاحبه وقد أحس الشاعر بما يعانيه و أدراك ما يقوله ولكن لا مجال إلا الإقتحام ولقد شفى نفسى و أذهب سقهما قول الفوارس لي: ويلك يا عنترة أقدم نحو العدو وأحمل عليه، يريد أن تعويل أصحابه عليه و التجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمه.

تهيمن صورة الشاعر على مسرح الأحداث، فهو يخاطب ابنة عمه التى رحلت عن الديار، ويخاطب الطلل محيياً، وقد أفقر من أهله.ويخاطب الفرسان في ساحة الوغى، ويصرع الأبطال ولا بدع في ذلك، فهو مكبل بحب عبلة، لكنه في الوقت نفسه مكبل بسواد لونه، تحاصره التقاليد، وليس له من سبيل سوى التحرر و الأنعتاق بسيفه وشجاعته معاً فأرادهم مهراً يقدمهم لها.

التعريف بالشاعر:

نشأته و حياته:

هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قُراد العبسي، ولد في نجد حوالي سنه 525م أبوه من أشراف عبس وأمه جارية حبشية أسمها زبيبة، وقد ورث عنها سواده وهو من أغربة العرب، وهم ثلاثة: عنترة، وخفاف بن عمير الشريدي، والسليك بن السلكة، كما ورث عن أمه تشقق شفته السفلى، فقيل عنه عنترة الفلجاء[1]، ولم يلحقه أبوه به إلا بعد ما أبداه من من بساله في حرب داحس والغبراء.

ويُقال إن قبيلة طي أغارت على عبس فاستاقت أنعامها وسبت بعض حرائرها ومنهن عبلة فلما طلب منه أبوه أن يخوض الحرب أبى وقال له: العبد لا يحسن الكر بل يحسن الحلاب والصر، فقال له أبوه: كر يا عنترة وأنت حر[2].

فلحق عنترة بالمغيرين واسترد منهم كل ما سلبوه وعاد مكللاً بالنصر، ولقيته نساء الحي وفتيانهم بالأهازيج.

وإذ ظهرت بطولته في الحرب، فقد نشأت ملحمة في تاريخنا في سيرة عنترة بن شداد، التى علقت بأذهان العرب، جعلته أسطورة في البسالة و البطولة الجريئة، نلمس فيها مقومات الرجولة التى تثير إعجاب الناس وتنال رضاهم.

ومهما يكن فعنترة فارس جاهلي اقترن اسمه بالبطولة والدفاع عن شرف القبيلة، إذ شهد حرب داحس والغبراء، فحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهده. [3]

([1]) الأغاني، ص 148.

([2]) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة 1423هـ، ص 172.

([3]) أبو زيد، سامي يوسف، الأدب الجاهلي، دار المسيرة، عمان، 1432هـ، ط1، ص 152.

نموذج من معلقة عمرو بن كلثوم في الشجاعة:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَا
مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيْهَا إِذَا مَا المَاءَ خَالَطَهَا سَخِيْنَا
تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيْحَ إِذَا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيْهَا مُهِيْنَا
وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصرِيْنَا[1]

استهل الشاعر معلقته بذكرالخمر مخالفاً عليه أصحاب المعلقات في الوقوف على الأطلال فالمطلع يوحي بنشوة النصر، ولأن العرب كانوا يشربون الخمر اثر انتصارهم في معاركهم، وأن الشاعر يحث الساقية بتقديم الخمر له ولقومه، وهى خمر مجلوبة من قرى الأندرين من الشام، ولم يكن يشربها إلا صفوة القوم، إنها خمر معتقة مشعشعة صفراء اللون تسر الناظرين تحدث طرباً وأثراً في شاربها، وتبعث الشحيح على شرائها ويعدد مزهواً البلاد التى كان يشرب فيها خمرته، وهى بلدان معروفه في الشام.

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا
بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيْضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَا
مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا
يَكُوْنُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِيْنَا
أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا
بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ نَكُوْنُ لِقَيْلِكُمْ فِيْهَا قَطِيْنَا
تَهَدَّدُنَا وَتُوْعِدُنَا رُوَيْداً مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا
فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِيْنَا [2]

([1]) كلثوم، ابن عمرو، ديوان عمرو بن كلثوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ص11.

([2]) مرجع سابق، ص12.

ومن ثم ينتقل إلى موضوعه الرئيس، وهو مخاطبة عمرو بن هند، مهدداً متوعداً فينكر عليه أن يتجاهل قدر تغلب، ونجده استخدم أسلوب النداء في قوله (أبا هند لا تعجل علينا....) وهو نداء جاء مقروناً بالنهى والأمر والوعيد في دلالة واضحة على شجاعة وقوة قبيلة بني تغلب.

ثم يفخر بمآثر القبيلة وأيامها وبطولاتها في جو ملحمي، فيصف بلاءها في الحرب بقوله :

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا

يكون ثفالها شرقي نجد ولهوتها قضاعةُ أجمعينـا

والبيتان يشتملان على جو ملحمي، تصبغ فيه الرايات بدماء الأعداء، وتمتد فيه الحرب حتى تشمل كل نجد، وهى حرب طاحنة، تسحق الأعداء كالرحى التى تطحن ما يلقى فيها.

وأستخدم الشاعر هنا أسلوب الشرط : كقوله (متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا.....)

(إذا بلغ الفطام..... تخر له الجبابر) هذا الشرط يقترن بشيئين: الأول هو التهديد والثاني هو المبالغة ثم ينقض على خصمه معنفاً بقوله (متى كنا لأمك خدم ؟).

وقد علم القبائل من معد إذا قبب بأبطحـها بنينا

بأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شئنا

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش غادرينا

ويمضي في تعداد أمجاد قبيلته،فيجعل لها سلطة عالية على مصائر الناس جمعياً فهم المطعمون، وهم المهلكون، وهم المانعون، والنازلون، ويشربون الماء العذب الصافي ويشرب غيرهم الكدر والطين، لأنهم الأعز، وتشير الأبيات الى نهايتها في فخرشديد المبالغة (ملأنا البر..... لنا الدنيا، تخر له الجبابر ساجدينا، ولعل سبب تلك المبالغات أن الشاعر يدافع عن

كرامته، ويعبّر عن تصديه لعمرو بن هند، وقد أصطخبت في نفسه نشوة النصر، ولا بدع في ذلك فإن نفسية الجاهلي هى نفسية الفروسية.

وأيضاً استخدم أسلوب التأكيد في قوله: بأنا المطعمون، وأنا المهلكون، وأنا المانعون، وأنا النازلون،..... الخ، وهو يتكئ كثيراً على هذا الأسلوب واستخدم أسلوب الجمع أو بالأحرى صيغة الجمع وتفيد التلاحم بين الشاعر وقومه بحيث أصبح الناطق عنهم سواء في فخره أو وعيده، في مثل قوله: أصبحينا علينا، نورد، نصدر، رحانا.

وهكذا تحولت معلقة عمرو بن كلثوم إلى أنشودة قبلية، تغنى بها بنو تغلب إذ توافرت فيها الأمجاد و البطولات بأبعادها القبلية، لقد تغنو بها عبر الدهور، وكادت تلهيهم عن كل شئ كما قال الشاعر

ألهى بنو تغلب عن كل مكرمة مقالة قالها عمرو بن كلثوم

التعريف بالشاعر:-

نشأته وحياته:

هو عمرو بن كلثوم بن مالك من بني تغلب، وكأنت أمه أيضاً تغلبية، وهي ليلى بنت المهلهل الشاعر، وعمها كليب[1] أعز العرب وكانت مساكن بني تغلب في الجزيرة الفراتية شمالي العراق والشام.

ولد عمرو في أواخر القرن السادس للميلاد، ساد قومه صغيراً وهو في الخامسة عشرة من عمره، ويقال إنه كان يتردد على عمرو بن هند ملك الحيرة وينشده الشعر. ويروى أنه قتله؛ إذ حاولت أم الملك أن تعامل أم الشاعر كالخادمة فصاحت ليلى: وآذلاه، لتغلب ! فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم، واستل سيفاً كان معلقاً بالرواق، فضرب به رأس الملك حتى قتله ونادى قومه فأنتبهوا من في الرواق، وسارو نحو الجزيرة، حيث نظم معلقته في نشوة النصر.

([1]) الشعر و الشعراء، ابن قتيبة، ص157.

ويبدو أن هذه الحادثة وقعت بعد أن حكم عمرو بن هند لصالح البكريين أعداء التغلبيين، مما ترك في نفوسهم مضاضة شديدة، وجعلهم يترقبون الفرصة السانحة للإنتقام من الملك الذي أساء إليهم. [1]

([1]) الأدب الجاهلي، ص 177.

المبحث الثالث

الوفاء بالوعد في الشعر الجاهلي

وفاء السموأل بن عادياء:

حياته ونشأته

السموأل هو ابن غريض بن عاديا بن حباء. قيل أن أمه كانت من غسان وقيل بل هو من ولد الكاهن هارون بن عمران، يعد أحد الشعراء اليهود الذين ذكرهم ابن سلاّم في طبقاته[1]، وهو أشهرهم جمعياً وأسمه معرب عن الأسم العبري شموئيل، ويرى بعض العلماء (القدماء) أنه من أصول عربية قحطانية، واتخذوا ذلك دليلاً على أن يهود الجزيرة هم من العرب. ولعل في هذا شئٌ من التعسف ؛ ذلك أنهم نزلوا في أواخر القرن الأول للميلاد و أوائل القرن الثاني بالحجاز حيث عملوا بالزراعة والصناعات اليدوية في مدن الحجاز وقراه. وظلو على دينهم، وتعلموا العربية، ونظم بعضهم الشعر وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم وفي كتب التاريخ والسير النبوية. السموأل هو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، قيل أن هذا الحصن كان لجده عاديا وأحتفر به بئراً ريّه عذبة قال السموأل يذكر بناء جده الحصن:

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت[2]

وكانت العرب تنزل به فيفيضها وتمتار (تأخذ ميرتها، أي الطعام الذي يدخره الإنسان) من حصنه وتقيم هناك سوقاً وقد اختلف بالذي قتل ابنه فقيل هو الحراث بن الشّمر الغساني، وقيل هو الحرث بن ظالم، وقد أُخذ بالقول الأول: أي أنه الحرث بن أبي شمر الغساني، ومن وفائه أن امرأ القيس بن حُجر لما صار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أبيه وكراهة لفعله وتفرقهم عنه حتى بقى وحده،

([1]) الجمحي،ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، 1898م، المحقق محمود محمد شاكر، ط3، ص235.

([2]) بن الورد، عروة، ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دارصادر، لبنان، بيروت، 1964م، ط1، ص71.

واحتاج إلى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء (ملك الحيرة) و وجه في طلبه جيوش من إياد وتنوخ وغيرهما وجيشاً من الأساورة أمر بهم كسرى آنوشروان، وخذلت حمير امرأ القيس وتفرقوا عنه، فلجأ إلى السموأل ومعه أدرع كانت لأبيه خمس وهى: الفضفاضة، الضافية، والمحصنة، الخريق، وأم الذيول، وكان الملوك من بني آكل المرار يتوارثوها ملك عن ملك، ومعه بنته هند وابن عمر يزيد بن حرث بن معاوية بن الحرث، وسلاح ومال كان معه وأودع بنته وماله وأدرعه السموأل ورحل إلى الشام وخلف ابنه عمر يزيد بن الحرث مع بنته هند[1].

ونزل الحرث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق ويقال: بل الحرث بن شمر الغساني، ويقال بل إن المنذر وجه بالحرث بن ظالم في خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل فلما نزل به تحصّن منه، وكان له ابن قد يفع وخرج إلى القنص، فلما رجع أخذه الحرث بن ظالم، ثم قال للسموءل: تعرف هذا ؟ قال: نعم هذا ابني. قال: افتسلم ما قبلَك أم أقتله؟ قال: شأنك به فلست أخفر ذمتي، ولا أُسلم جاري،فضرب الحرث وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه وقد بقى السموأل محافظاًعلى تلك الأدرع حتى وافى بها الموسم فدفعها إلى ورثة أمرئ القيس فقال السموأل في ذلك[2]:

وَفَيتُ بِأَدرُعِ الكِندِيّ إِنّي إِذا ما خانَ أَقوامٌ وَفَيتُ

وَقالوا إِنَّهُ كَنزٌ رَغيبٌ فَلا وَاللهِ أَغدِرُ ما مَشَيتُ

بنى لي عادياً حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت

طمراً تزلق العقبان عنه إذا ما نابني ضيم أبيت

واوصي عادياً قدماً بأن لا تهدم ياسموءل ما بنيت

([1]) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمود شكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1994م، ص122.

([2]) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، ص69.

وبيت قد بنيت بغير طيـن ولا خشب ومجد قد أتيت

نلاحظ من خلال الأبيات أنه وفي بأدرع أمرئ القيس التى أودعها له وهو فخور بصفته المحمودة التى ورثها من بنى عاديا، فحتى إذا خان أقوام وكان شيمتهم الغدر بغيرهم ظل هو وفي وأنه لا يغدر (ما مشيت) كناية عن الحياة فمادام حياً يقسم فلا والله أغدر فلا غرابة في عدم اتصافه بالغدر وذلك لما شاد له شيم الأولى وهو منهم، والأصل تتبعه الفروع حصناً حصيناً وعُنى بالحصن هنا الأخلاق الفاضلة المتينة التى تشربتها روحه منذ نعومة أظافره.

و على الإنسان الوفاء لأهل عصبته فهو واحد منهم ينتصر لهم وينتصرون له بغض النظر عن أسباب الفرقة والتخاصم.

والوفاء هو الصدق في أداء التزام معين حيال الآخر ويدل على سمو العقل وكرم المنبت وشرف الاداء ولا سيما في إنفاذ الموعد[1].

يقول حنظلة الطائي:

ما كُنْتُ أُخْلِفُ ظنه بعد الذي أسْدَى إلىّ من الفَعَال الخالي

ولقد دَعَتْنِي للخلاف ضَلاَلتي فأَبَيْتُ غيرَ تمجُّدِي وفعالي

إني امرؤ منِّي الوفاءُ سَجِية وجزاء كل مكارم بَذَّالِ

فحنظلة يربو بنفسه أن يخلف ظن من أحسن به الظن ويخون العهد ويغدر بصاحبه لأن الغدر يعد من المعايب و هو مما يعبر به فكيف بمن أسدي إليه الفعال الطيبة وقدم له حياته رهينة، إنها من المواقف التى سيذكرها التاريخ وقد خلدها شعر حنظلة، وهكذا يجب أن يكون الرجال عند الشدائد إذ ينتخون للنجدة حتى لو كانت من غير معرفة سابقة، فمعادن الرجال تمتحن في الملمات و الصعاب ويعترف حنظلة أنه ربما دعته الضلالة للنكث بالوعد واهتزت عنده قيم الرجولة والشهامة، ومقابلة المعروف بمثله، لكن المنبت أبى عليه إلا أن يسلك طريق المجد

([1]) بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، ص135.

حتى لو كان فيه الموت، فالوفاء سجية نشأ عليها ضمن بيته المعزز بالإيمان فلا يستطيع إلا أن يكون مجازة المكارم بمثلها فيذل نفسه عن صاحبه الذي كلفه ولو لا الوفاء لما نال حنظلة هذه المنزلة في الحضور التاريخي.

وفي مقام الوفاء القبلي ينتصر لقبيلته ويجيب صاحبه من خلال الاستفهام الإنكاري الذي أفادنا في أن ينكر على صاحبه أن يكون قد أنتقل أو تقاعس عن نصرة قومه يقول المتلمس:

أمنتقلاً من آل بهثة خلتني إلا إنني منهم وإن كنت أينما

إلا إنني منهم وعرضي عرضهم كذي الأنف يحمي أنفه أن يكشما[1]

فالمتلمس يصر على أنه ملتزم نصرة آل بهثة وهو منهم حتى لو ابتعد واغترب ولو وقع خلاف لكن ذلك لا يؤثر في طبيعة الإلتزام الإنساني والمجتمعي الذي يعيد الفرد إلى أصله، فالقبيلة واحدة بأفرادها وعرض أي واحد فيهم هو عرض الجميع، لأنهم على الأغلب ينتسبون إلى جد واحد فإذا انفرد وتخلى وهذا من المستبعد فإنه كمن يقطع أنفه، والأنف يمثل الكرامة والشرف ولا سيما أنه في مقدمة الوجه وقطعه يشوه جمالية الصورة الانسانية وهذا يسمى التجسيم إذ التشبيه جرى بين العرض المعنوي والأنف المادي.

والمتلمس يعتز بنسبه كما هو الحال عند كل عربي، ومع إعتزازه بأخواله وجوارهم لكن أصل النسب يأتي مرتبطاً بالأب، والعرب معرفون بإنتمائهم الأسري والقبلي إذ أجاد المتلمس التشبيه فجعل سلسلة النسب مثل الشجرة وأغصانها ولم تزل بعض العوائل تعلق شجرة النسب في بيوتها، يقول المتلمس

وقد كان أخوالي كريماً جوارهم ولكن أصل العود حين من حيث ينزع

([1]) ابوعبيدة، ديوان المتلمس، دار الخطوط العربية، مصر، 1970م، ج1، ط1، ص19- 20.

فالشجرة في تكوينها وامتدادها تعتمد على الأغصان و القبيلة في اتساعها وثقلها تعتمد على البطون والأفخاذ والعوائل والأفراد وهذا الوفاء القبلي حيال الفرد ومقابله الفرد حيال القبيلة جعل العرب يحترمون التزاماتهم حيال الآخر.

(وكانو لا يقدرون شيئاً كما يقدرون الوفاء فإذا أوعد أحدهم وعداً أوفى به وأوفت معه قبيلته)[1] كان العرب يعظمون الوفاء ويحضون عليه، فإذا أعطى أحدهم عهداً كان من أكبر العار و المشين أن لا يفي به وكثيراً ما كان يضحي بنفسه وماله وأهله ليفي بعهده، فيعد في الوافين، وقلما كان العرب يحتاجون إلى من يفصل بينهم في خصوماتهم لما فطروا عليه من جنوح إلى الوفاء ، فالوفاء إذا كان في أمة أغناها عن السلطة والقضاء، وكان من سننهم في الجاهليه، إذا غدر الرجل منهم أن يرفعوا له لواء في المواسم الكبرى، ولا سيما في مجمعهم العام في سوق عكاظ ليفضح في الناس جميعاً، وليحذرهم فيه من التعامل معه[2]، ولهم في ذلك مثل يقول إي، لكل غدرة لواء أي علامة تشهر بها في الناس وإلي هذا أشار قطبة بن أوس المازني يسأل حبيبته سمية إن كانت سمعت لهم بغدرة

فسمي ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء بها لنا في مجمع

وربما أوقدوا للقادر ناراً وصاحوا: هذه غدرة فلان فأحذروه أو ربما أقاموا له تمثال من طين ينصبونه في السوق، رمزاً لنقضه العهد وغدر به وأن العرب كانوا إذا غدر الرجل أو جنى جناية عظيمة انطلق أحدهم حتى يرفع له دأبه غدر بعكاظ، فيقوم رجل من المغدور بهم يخطب بذلك الغدر فيمسى بذلك مذموماً ينقل ضميره شعوره بالخزي والعار بعدما صدر بحقه حكم عكاظ القاضي بعزله عن المجتمع.

([1]) ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة،ط2، ص69.

([2]) حمور،عرفان محمد، المواسم الكبرى، دار الرجاء، بيروت، لبنان،1999م، ج1، 423

الخاتمة

وتشتمل على الآتي:

اولاً: النتائج

ثانياً: التوصيات

لكل شيءٍ إذا ماتم نقصان وقد لا يتم ويبدأ النقص أحيانا

وقد يُعاق تمام الشئ غاتيه كما الغمام وبدر التمٌ مزدانا

فليت بلوغي الذي كنت آمله وليت نفاذي لمقصد بحثي الآنا

فما الظنون إذا البحث مكتملاً إذ يكون وهذا الباحث إنسانا

وهبتك ما جادت قريحتنا تجمع من بطون الكتب ماهانا

أنا المقل قصيرالباع معترفاً ورغم هذا ختام البحث قد حانا

إلاهي أدعو أن يمحو خطيئتنا يوفق غيري إلى إكمال ما كانا

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله أكمله، والشكر له أجزله، أن وفقنا إلى إكمال هذا البحث ونسأل الله سبحانه وتعالى، أن ينفع به القارئ، ويجعله في حسنات الباحث، وخلاصته أن البحث به تمهيداً وفصلين، والتمهيد تحدث عن العصر الجاهلي ودلالة مصطلح الجاهلية والجاهلية الأولى والثانية، كما تحدث عن الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية.

وفي الفصل الأول، كان الحديث عن بعض القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، مع تعريف القيم لغة وإصطلاحاً، والحديث عن الكرم والشجاعة والوفاء بالوعد، مع ذكر بعض الأشعار التى مجدت هذه القيم.

وفي الفصل الثاني كانت روح هذه الدراسة في تحليل نماذج من القيم (الكرم، الشجاعة، الوفاء بالوعد).

والبحث الذي بين أيديكم هو خلاصة جهد مقلٍ، لكم ثمرته وعلى الباحث تبعته، ثم إنى لا أُخفيكم أن الطريق إلى البحث شاقة، تحتاج إلى صبر ومثابرة وتمحيص وتروي وتأني، ولعلي أسرجت الجواد لراكبه ومهدت الطريق لمن يبني المنار بها نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجه الكريم، ويعين ويوفق كل باحث للعلم وطالباً له، أو كما

قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الملائكة لتضع إجنحتها على طالب العلم رضاءاً بما يطلب).

اولاً: النتائج:

بعد هذه الدراسة والإنتقاء الدقيق للنصوص الشعرية التى صورت القيم الأخلاقية في العصر الجاهلي والتى تقصيت فيها أحوال المجتمع الجاهلي من خلال هذه القيم خرجت الدراسة بعدة نتائج وهي:

1-إن انتماء الشاعر بالقبيلة وصلته بها جعله يسلك مسلك الإنتماء الفاعل الذي يرتبط بالصفات الحميدة من حسب شريف ماجد، ونسب أصيل فيه كرم وشرف وعفة وعزة ومروءة ووفاء وشجاعة ودعوة الى الثأر والمساواة.

2-الشعر الجاهلي حافظ على القيم الإنسانية التي سادت في تلك الفترة، إذ أن هذه القيم وجدت بالفطرة ولم تكن وليدة الصدفة.

ثانياً: التوصيات:

1- دراسة الجوانب التى لم تتطرق لها هذه الدارسة، كدراسة بقية القيم الأنسانية في الشعر الجاهلي، شرف، عفة، إجارة، نجدة.....الخ.

2- ضرورة الإهتمام بدراسة الأدب الجاهلي وأعلامه رافداً للمكتبة العربية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1-القرآن الكريم.

2- الحديث النبوي الشريف

ثانياً: المراجع.

1-ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار الجيل، بيروت، 1420هـ، ط2.

2- ابن سيفان، عروة بن الورد بن زيد، ديوان عروة بن الورد، دار لبنان، بيروت، 1964م.

3-ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة ط2.

4-ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج2.

5- ابن منظور، أبي الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (ك، ر، م).

6- ابوتمام، حبيب بن أوس، الحماسة، تحقيق علي المفضل حمودان، مركز جمعة الماجد، دبي، 1992م، ج1، ط1.

7-أبوزيد، سامي يوسف، الأدب الجاهلي، دار المسيرة، عمان، 2010م، ط1.

8-أغبش، ابراهيم واخرون، المعجم الوسيط، مادة (ق، ي، م).

9- الأبرص، بن عبيد، ديوان عبيد الأبرص، دار الكتاب العربي، 1994م، ط4.

10- الأصبهاني، ابوالفرج، الأغاني، دار لبنان، بيروت، 1420هـ، ط2.

11-الالوسي، محمد شكري، بلوغ الأدب في معرفة احوال العرب، تحقيق محمد شكري، دار الكتب العلمية.

12- الأنباري، ابوبكر محمد، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5.

13- الأودي، الأفوه، الأفوه الأودي، دار صادر، بيروت، 1998م.

14-البحتري، ابو عبادة الوليد بن عبيد، الحماسة، تحقيق محمد ابراهيم حور، دار أبوظبي، 1428هـ.
15-الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.
16-الجندي، علي، عيون الشعر العربي، دار غريب، القاهرة، ج3.
17-الحسن، حمدالنيل محمد، الأدب الجاهلي، دار الرشيد ، 1426هـ، ط1.
18-الحُطيئة، جرول بن أوس، ديوان الحُطيئة، دار صادر، مصر، القاهرة، 1958م.
19-الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهداية، الكويت، 1965م، ج1.
20-الزوزني، حسين بن محمد، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، 1993م ج2، ط1.
21-السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دارالرسالة، 2000م، ط1.
22-السقا، مصطفى، مختار الشعر الجاهلي، دار صادر الحلبي، القاهرة، 1948م.
23-الشعراوي، ناهد أحمد السيد، عناصر الإبداع في شعر عنترة بن شداد، دار المعرفة، القاهرة، ط1.
24-الصمه، دريد، ديوان دريد بن الصمه، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، ط1.
25-الضبي، محمد بن يعلى بن سالم، المفضليات، دار المعارف، القاهرة، ط6، ج1.
26-الطائي، حاتم عبدالله، ديوان حاتم، دار صادر، لبنان، بيروت، تحقيق أحمد رشاد، 1981م، ط1.
27-الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العملية بيروت، ج1، ط1.
28-الطفيل، عامر، ديوان، عامر، دار صادر، بيروت، 1979م.
29-العبد، طرفة، ديوان طرفة بن العبد، دار الوفاء بالمنصورة، 2005م، ط1.

30-العسكري، الحسن بن عبدالله، كتاب جمهرة الأمثال، دار الجيل، بيروت، 1408هـ، ط2.
31-القسى، نوري حمودي، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، مطبعة بغداد، التعليم العالي، 1989م، ط1.
32-الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، دار الكتب المصرية، ط2.
33-الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار طهران، إيران، 132هـ، ج2، ط1.
34-المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ط3.
35-النويهي، محمد، الشعرالجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، دار الكتب العلمية، القاهرة، ج1.
36-الهاشمي، أحمد إبراهيم، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت، ج2.
37-الهاشمي، محمد بن حبيب أمية، المحبر، تحقيق إيلزة ليختن، دار افاق بيروت، ج1.
38-جمال، عادل سليمان، ديوان حاتم الطائي، تحقيق أحمد رشاد، دار المدني، ط3.
39-حرب، طلال، ديوان عمرو بن كلتوم، دار لبنان، بيروت، 1993م، ط1.
40-دراقي، زبير، المفيد في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات، 1964م، ط1.
41-النابغة، ديوان النابغة، تحقيق كرم البستاني، دار لبنان، بيروت، 1964م، ط1.
42-تميم، ديوان تميم بن مقبل، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، 1995م.
43-سلمى، زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ط1.
44-شداد، عنترة بن، ديوان عنترة بن شداد، دار الجيل، تحقيق محمد سعيد، ج1.

45-شهاب الدين، أبو عمر بن عبد ربه، العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح، أحمد أمين الزين، القاهر ة، 1948م، ج1.
46-ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دارالمعارف، القاهرة، ط2.
47-طليمات، غازي، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، دار الفكر، ط2.
48-عبد الجبار، سعود محمود، شعر الزبروقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، دار الرسالة، بيروت، 1982م، ط2.
49-عبد الفتاح، ثريا ملحس، القيم الروحية في الشعر العربي، دار البشير، 1964م، ط1.
50-عبد المحسن بن حمد عبد المحسن، شرح صحيح البخاري، الجامعة الإسلامية، المدنية المنورة، ط1.
51-عتاب، عمرو بن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، شرح رحاب عكاوي، 1996م، ط4.
52-على، جواد، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، 2001م، ط4.
53-عمرو، تماضر، ديوان الخنساء، دار صادر لبنان، بيروت، 1963م، ط1.
54-فروخ، عمر، الأدب القديم، دار العلم، بيروت، ط4.
55-قميحة، جابر، قيم إنسانية في المجتمع الجاهلي، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2014م، ط1.
56-كفافي، منذر ذيب، الأدب الجاهلي، دار المسرة، الأردن، 2000م، ط1.
57-لبيد، عامر بن مالك بن جعفر، ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، لبنان، بيروت، 2004م، ط1
58-محمد، وجيهة، الأدب الجاهلي، حياة وسمات، العلم والإيمان، كفر الشيخ، 200م، ط1.
59-معالي، محمد محسن، معجم معالي اللغة، مادة (ق، ي، م).

60- علقمة بن بدر، ديوان علقمة الفحل، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1935م، ط1.
61-نافع، مبروك، تاريخ العرب، دار الغد، القاهرة، 1952م، ط3.
62-نبوي، عبد العزيز، دارسات في الأدب الجاهلي، 1988م، ط3.
63- هدارة، محمد مصطفى، إتجاهات الشعر العربي، دار المعارف، 1963م، ط1.